رواية

ريبليس منت
استبدال



مصطفى تقي

ریبلیس منت

استبدال

دار النشـــــــر:	دار حروف الفارس للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب:	ريبليس منت (استبدال)
الـــكـــاتـــب:	مصطفى تقي
رقم الطبعـــة:	الأولى
تاريـخ الطبـع:	2025
رقـــم الإيـداع:	34544 – 2025
الترقيم الدولي:	978-633-8420-00-0

للمراسلة

MostafaTaky@gmail.com



إهداء

إلى عائلتي

عائلة آل تقي

أخواتي الذين يحملون ملامح البيت في

أصولتهم

وإلى من اختاروا لقلوبهم شريكاً

وإلى أبنائهم الذين هم زهرة البيت

وفرحته

لولاكم ما نضج الحلم ولا وجدت

الكلمات طريقها إلى النور

شكراً لحضوركم الذي منحني القوة

لأكمل الطريق

مصطفى تقي

تنويه

جميع أح جميع أحداث الرواية وأسماء الشخصيات من خيال المؤلف، ولا تمت للواقع بصلة. وأي تشابه بينها وبين الواقع محض صدفة، الرواية بالكامل لا تمثل توجه ديني أو عقائدي، هي فقط عمل أدبي مجرد، مبني في الأساس على فرضيه مستحيلة.

لذا وجب التنبيه

قال تعالى

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

الأية 85 من سورة الإسراء

في البدء كان الحرف.

بعده... كان الصدى.

هل سألت نفسك يومًا أهناك عهد خفي بين الكاتب وكلماته؟

ذلك العهد الذي لا يُكتب بالحبر، بل يُنقش في الروح منذ اللحظة الأولى التي تلامس فيها الكلمة عقل صاحبها؟

الكاتب لا يملك النص، بل النص هو الذي يملكه

هو من يمنحه نبضه، ويقوده إلى حتفه، ويتركه يظن أنه السيد.

لكن الحقيقة أقدم من هذا الوهم.

ماذا لو كانت الكتابة ليست موهبة،

بل هي خدمة لطقس قديم، يوقع فيه الكاتب على ميثاق لا يُرى، يقسم فيه دون وعي أن يكون خادمًا للمعنى لا لنفسه.

وحين يبر بقسمه، يمنح قلما، وصوتا في إذنه، يسميه البعض إلهاماً، والبعض الأخر يسمونه أسلوب

تنهال الحروف تباعا مكونة كلمات؛ يتحرك بها قلمه في نشوة، تحت مسمى الابداع، ليسطر بها ما يظن أنه حبرا على أوراقه،

وهو في الأصل دما ينبض بالحياة، ربما جعل الأوراق تبتسم وتحزن وتشع نورا. وحين ينكث العهد... تبدأ الخطيئة.

الخطيئة هنا ليست ذنبًا بشريًا بسيطًا، بل انكسار في التوازن بين الكاتب والحرف.

في اللحظة التي يتوهم فيها الكاتب أن القلم أصبح ملكه،

وأن الفكرة تنتمي إليه، وأن النور الذي يسكن الورق من صنع يده. من هذه اللحظة تولد الخطايا السبع للمبدعين.

- جشع يبتلع الحكايات،

- كسل ينتظر الإلهام بلا تعب،

- شهوة تتغذى على إعجاب الآخرين،

- غضب يحول القلم إلى خنجر،

- شراهة معرفية تبتلع كل شيء دون هضم،

- حسد يطفئ كل بريق في عين سواه.

- كبرياء يتخفى خلف البلاغة،

تلك هي اللحظة التي تتخلى فيها الكلمة عن كاتبها.

وحين تفعل... لا تتركه وحيدًا. بل تستخدم إحدى أدواته بديلا. له آلة كاتبة. باردة. معدنية. بلا قلب. تكتب قانون الاستبدال

كل ضغطة مفتاح هي نبضة تُنتزع من روحه؛

كل جملة تُقربه خطوة نحو اختفائه.

وحين تنتهي الآلة من عملها، لا يبقى سوى صفحة بيضاء، وجملة واحدة مطبوعة في منتصفها، قانون من قوانين العهد.

هذه الصفحات التي ستقرأها ليست قصصًا عن سبعة كُتاب اختفوا في ظروف غامضة،

بل سبع طقوس لإعادة اختيار الكلمة لمن ينول شرف خدمتها.

سبع نبوءات عن اللحظة التي يستعيد فيها الحرف سلطته على البشر. اقرأ ببطء. لأن كل كلمة هنا تعرف اسمك،

وقد تختارك أنت لتكون الكاتب التالي...

المؤلف

الافتتاح

المكان قاعة المؤتمرات. مكتبة الاسكندرية

الزمان 20 ديسمبر 2024

كانت القاعة الكبرى في مكتبة الإسكندرية تتلألأ تحت ضوء أبيض بارد، يتدلى من سقف مرتفع كسماء مصطنعة لا تعرف ليلًا ولا نهارًا .كأنها صدفة بحرية تحتفظ بوميض المعرفة منذ الخليقة.

صفوف من الكراسي امتدت حتى نهاية القاعة،

يجلس عليها كتاب ونقاد، وجوههم متعبة من الكلام الكثير.

على المنصة وُضعت لافتة كتبوا عليها بخط أنيق

المؤتمر الدولي العهد والكتابة

الوعي وحدود الإبداع الأدبي.

وفي الجانب عُرضت **آلة كاتبة** سوداء عتيقة داخل صندوق زجاجي محاط بإطار نحاسي باهت، تعلوها لافتة صغيرة كتب عليها بخط أنيق ربليسمنت – البديل

الآلة لم تكن قطعة أثرية فحسب، بل أشبه بمخلوق نائم، يتربص بأنفاس الداخلين. مفاتيحها تلمع كأنها عيون تراقب الحضور.



جلس الحضور في صمت يليق بقداس أدبي أكثر منه مؤتمرًا.

في الصف الأول، جلس **نادر القاسمي**، العملاق العجوز، الحائز على نوبل، متكئا على عكازه كأنه ملك يتفقد رعاياه.

بين الحضور كان هناك ستة كتاب آخرون، يجلس كل منهم يحمل ملامح خطيئته دون أن يدري. صعد إلى المنصة رجل حاد الملامح، تتأرجح في عينيه حكمة نصف مكتملة. بدلته رمادية أنيقة، قميصه أبيض، ساعة يده لامعة، نظارته الطبية وسيجاره الفخم يضيفان إليه وقارًا لا يخلو من غرور،

إنه **د. فؤاد الجبالي** الطبيب والعالم المعروف في علوم النفس البشرية

لم يكن الدكتور فؤاد طبيباً تقليدياً قط،

بل كان يمثل نصف الحقيقة.

تلك الخبرة التي اكتسبها بعد سنوات من التعامل مع حالات الوعي الموازي.

بدأ حديثه بتحية الحضور، قائلاً بصوت رسمي متماسك

- السادة الحضور، نرحب بكم في مؤتمر العهد والكتابة،
- سوف تفتح جلسات النقاش فور انتهاء التقديم، والكلمة الافتتاحية.

حيث نناقش عدة اسأله.

أشار بيده في الخلفية فتم عرض شريحة تحمل عنوان

العهد والكتابة

التقديم.

وتحمل عدة اسأله مكتوبة بخط واضح. أخذ يقرأها بأسلوب مسرحي.

- هل الكاتب من يملك الكلمة؟

أين تكمن الموهبة؟

هل للقلم تأثير على الكاتب؟

ما هو المقصود بالوحي أو الإلهام؟ ... ثم سؤالنا الأقدم.

هل الكتابة مجرد صدى، أم أنها الإبداع ذاته؟

ثم أضاف بهدوء، وهو يلتفت نحو الشاب الجالس بجواره

- والان موعد الكلمة الافتتاحية مع الكاتب الشاب يوسف زهران.

وضع يده على كتفه قبل ان يهمس له

- أتفضل يا فيلسوف.

صفق الحاضرون حينما نهض يوسف زهران، لتحيتهم قبل أن يقوم وفي خطوات رشيقة واثقة، كان يرتدي بدلةً رمادية بسيطة، يحمل أوراقًا لا يلتفت إليها. لم يكن حضوره صاخبا، لكنه حين

صعد إلى المنصة، خفتت الأصوات كأن شيئا في المكان توقف انتظارا لأن يتكلم .وقف أمام الميكروفون، وكأنه قد أعتاد فعل الأمر.

تأمل القاعة بعينين ساكنتين، وبصوت يشبه الهمس الموزون بدأ حديثه



كان **يوسف زهران** يحمل على وجهه، ملامح الهدوء الغريب الذي اكتسبه بعد تجربته. صوته هادئ، لكنه يحمل ثقل من عاش أكثر من حياة.

في المؤتمرات الأدبية كان اسمه يثير الالتباس، هل هو كاتب، فيلسوف؟ ناقد؟ أم شيء أبعد من ذلك؟

كان يقول عن نفسه.

- أنا مجرد قارئ، لما لم يُكتب بعد.

ومحاضر، يتحدث من مكان لا يرى.

اشتهر بأطروحته المعنونة. الوعي الأكثر حكمة، التي تناول فيها فكرة أن الكتابة ليست فعل إبداع بشري، بل استعداد للاستماع، ... للتلقي من وعي سابق على اللغة،

وعي يحكم كل الحروف كما يحكم الزمن تتابع اللحظات.

قال مرة في إحدى محاضراته

- الكاتب لا يختار الكلمة، بل يتم اختياره لتكتب به الكلمة.
- الفارق بين الإلهام والوهم، كالفرق بين من يصغي ومن يدعي.

لم يكن محبوبا من الجميع، لكنه لم يهتم يوما بذلك
رآه بعض النقاد متعاليا، غامضا، أو متكلفا في لغته.
لكن الذين حضروا محاضراته يعرفون أن شيئا في حضوره يجعل الصمت بين كلماته أكثر فصاحة من الكلام نفسه.



وقف أمام الميكروفونات في القاعة المزدحمة بالكتاب والباحثين، بداء كلامه بصوت خافت كالهمس، وكأنه يأتي من عمق الزمان. كانت نبرته لا تُعلن، لكنها تنساب في الهواء ببطء كحبر يتسرب في الماء، كأنه يهمس بسر كوني يقرأه من زمن آخر

- سبعة كتبوا، وسبعة سقطوا، وسبع خطايا تستحق الالعقاب
كل منهم أمسك القلم بيد مرتجفة من شهوة أو خوف،
فوجد أن الحرف ليس رمزاً ينقش، بل سكيناً يجرح.

كانت تلك الجملة كشرارة أشعلت الصمت، لم يسمعها أغلب الحاضرون، رغم تردد صدها بين الجدران، لكن شيئا في الهواء تغير وكأن القاعة نفسها سمعت نبوءة قديمة تعود للحياة، واسترجعت ذاكرةً نائمة.

أحد الصحفيين في الصف الأمامي همس لزميله

- هل هذه كلمة افتتاحية في مؤتمر أم نبوءة؟



تقدم خطوة نحو الميكروفون، اقترب حتى صار صوته يختلط بأنفاسه.

- السيدات والسادة... اسمحوا لي أن أضع أمامكم فرضية.

إن افترضنا أن الموهبة ليست موجودة.

لا يوجد أنا أكتب.

هناك فقط عهد. يوقعه الكاتب دون وعي،

ولكن بكامل رغبته وبسعي دائب

أن يحمل القلم، وفي المقابل يُمنح الكلمة.

في فرضيتنا هذه، الكلمة تملك وعيها الخاص،

وحين ترغب في الظهور، تختار صاحب القلم المناسب،

فإن خان العهد... استبدلته

نظر يوسف إلى الآلة الكاتبة، وظهر على وجهه انفعال غريب.

كان وجهه يحمل أثر خوف قديم منحوت على ملامح طفل، يقابله يقين رجل امتلك الحكمة كاملة.

ارتفعت الهمهمات في القاعة للحظة قبل أن يقطعها صوته الرصين

- أستمحيكم عذراً سأتحدث بالعامية، فأنا اعشقها في التعبير الحواري

لم ينتظر الرد وأكمل

- نتخيل إن الكاتب وسيط، يستقبل الكلمة. من وعي أكثر حكمة، وينقلها بمنتهى الأمانة على الورق، عشان توصل الفكرة زي ما هي للقارئ.

ولما ينسى دوره، ويظن أن القلم أصبح ملكه، والفكرة فكرته

ويتمكن منه الغضب، الحسد أو الكبرياء... في الوقت ده ينكسر العهد.

- والكلمة، مش بس تسيبه ... كمان تستبدله.

يوسف يكمل بصوت أكثر حدة وهو يشير نحو الآلة الكاتبة

- فكرة البديل.

تفترض إن الكلمة هي الأصل، وإن الكاتب مؤتمن،

ولما يبطل يسمع لصوت الكلمة، ويبطل ينقلها بأمانه

الآلة نفسها ممكن تكتب بدلاً منه

ثم توقف للحظة، رفع نظره نحو الصفوف الخلفية كأنه يبحث عن شخص غير مرئي.

ساد الصمت الكامل، حتى أجهزة التسجيل بدت مترددة في التقاط صوته الأخير.

في تلك اللحظة، ازداد ضوء القاعة سطوعًا كأن الكهرباء استجابت لنبض خفي، وأُعلنت بداية الجلسة الحوارية.

بدأ د. فؤاد جلسة الحوار بقوله

- دكتور يوسف، بيفترض وجود وعي أكثر حكمة، يستطيع أن يكسر قلم، ويمحو كلمة. ويبدأ كلمات بقلم جديد.

في المقابل هناك مدرسة أخرى تؤكد أن، الأبداع والموهبة هي أحد أهم تجليات الوعي الانساني، ولا وجود لما يسمى بوحي أو إلهام.

أما أنا الآن أقف في موقف حيادي.

لست مؤيد أو معارض حتى نكمل النقاش، وفي نهاية الجلسة الحوارية، سيكون لنا حديث أخر.

السؤال الآن هل يستطيع ذلك الوعي الافتراضي ان يكسر قلم كاتب موهوب؟



جلسة الحوار

أول من طلب الكلمة، **مروان نجيب،**
كان يجلس في الصف الأول، متكئًا إلى الخلف، كأنه يملك القاعة بما فيها. وجهه يلمع تحت الضوء، ليس من النور، بل من ثقة زائدة تشبه العُجب. عيناه تتحركان كمن يقيس الآخرين بمسطرة خفية، فيها يقين أن الجميع أقل منه قامة. كان يرتدي بدلته الرمادية الفاخرة التي تفوح منها رائحة المال أكثر من رائحة الحبر. أمامه دفتر مغلق، لا يدون فيه، فقط يراقب. فهو لم يعد يكتب ليعبر، بل ليثبت أنه الأقوى. يرى الأدب ساحة سباق لا طقس عبادة.

حين ألقى **د. فؤاد** سؤاله عن لحظة انكسار القلم، كان أول من رفع يده. نهض ببطء، وألقى نظرةً سريعة نحو يوسف، كمن يتحدى ظلا قديمًا.

مروان بنبرة واثقة، فيها شيء من التباهي

- بص يا دكتور، كل الكلام عن العهد والإلهام ده حلو... بس في الآخر، الكتابة سلطة. الكاتب الحقيقي هو اللي يمسك الحكاية بإيده، ويخليها تمشي وراه، مش هو اللي يجري وراها.

يعني لو أنا ما طلبتش أكتر، لو ما كانش عندي طموح أبلع العالم بالحبر، هافضل صوت عادي وسط الزحمة.

اللي يكتب لازم يملك الكلمة، وإلا هتملكه هي.

ساد الصمت لحظة رفع يوسف نظره نحوه بهدوء لا يخلو من حزن، وقال بصوت منخفض كأنه يتحدث من مكان بعيد

- أستاذ مروان... اللي بيسعى يملك كل الكلام بيخسر،

بيتحول هو نفسه لكلمة في جملة،

غيره هايكتبها في خبر عنه، أو كشخصية في رواية عن الجشع.

الكلمة بتختار اللي يفهمها ويسمعها، مش اللي يلحق يصرخ بيها الأول بدون فهم.

الجشع بيبدأ لما الكاتب ينسى إن الكلمة عهد، مش تجارة.

مروان بابتسامة ساخرة، يخفي بها ارتباكه

- يعني حضرتك شايف إن الطموح حرام؟ لا يا أستاذ يوسف، الدنيا مش وحي، دي سوق... واللي ما يعرفش يبيع فكرته،

فكرته هتموت جواه، وممكن تقتله

ولو ده اسمه جشع، فأنا مش شايف الجشع خطية للكاتب، بالعكس... ده الدافع اللي بيخلي الواحد يكتب.

د. فؤاد يتدخل بصوت رصين، كمن يشرح درسًا قديمًا

- الطموح مش حرام، يا مروان...

لكن فيه فرق بين واحد عنده طموح وحد تاني عايز يكون المصدر الوحيد للكلمة.

مروان نظر إليه نظرةً طويلة، ثم ابتسم ابتسامةً باردة وقال وهو يجلس

- كل ده كلام نظري يا دكتور... أنا بكتب، والناس بتقرا. وده كفاية.

لكن أحدًا لم يعلق.

لحظة صمت غريبة، كأن شيئًا في الهواء تغير، صار أثقل صوت خافت من جهة الصندوق الزجاجي انبعث كأن مفتاحا في الآلة الكاتبة القديمة تحرك وحده، طقطقة صغيرة كسرت الصمت.

رفع مروان عينيه نحوها، ثم ابتسم بقلق لم يفهم سببه.

بدا كأنه سمع اسمه يكتب في مكان لا يرى.



في ركن القاعة الجانبي جلست **سُمية طارق،** تبدو كمن لم يأت لتشارك، بل لتشهد. وجهها هادئ لكن عينيها لا تهدآن، كأنها تزن الكلمات بميزان خفي، تفرق بين ما يُقال وما يُخفى خلفه.

لم ترفع يدها حين طلب الدكتور فؤاد من الحضور المشاركة، لكن صوتها خرج من حيث لم يتوقع أحد، هادئًا أول الأمر، كأنها تُحدث نفسها

- إحنا بنتكلم عن العهد وكأن الكلمة كائن سماوي بيوزع النعم... بس هو فين الإنسان؟

التفتت إليها العيون.

ابتسم يوسف زهران ابتسامة صغيرة، فيها تقدير وحذر معًا.

قالت وهي تنهض، تمسك القلم بين أصابعها كأنه سلاح

- أنا مش شايفة إن الكاتب بيوقع عهد مع حاجة غيبية**...** هو بيوقع مع نفسه**.**

  كل كلمة بنكتبها مش وحي، دي مسؤولية**.**

  لما نقول إن في وعي أخر، بيدينا الإذن نكتب،

  إحنا كده بنخلي الكاتب عبد، مش حر**.** وده ضد معنى الإبداع من أصله**.**

د. فؤاد، يميل قليلًا للأمام، صوته منخفض لكن مشبع بالانفعال

- أستاذة سُمية، انتي كده بتنفي فكرة الإلهام.

مافيش كاتب بيكتب لوحده، دايماً في صوت تاني بيهمس له.

ابتسمت سُمية بخفة

- أيوه يا دكتور، في صوت تاني فعلاً... بس مش لازم يكون من واعي أخر.

ممكن يكون ضميرنا اللي بنسمعه بعد ما نكذب،

أو الحقيقة اللي بتحاربنا وإحنا بنحاول نخبيه.

مش كل وحي جاي من فوق، في وحي بييجي من جوا.

يوسف بهدوءه الغريب المعتاد

- بس انتي كده بتقطعي الخيط اللي بيربطنا بالمصدر...

من غير العهد، الكتابة بتفقد قدسيتها.

ردت عليه بعينين ثابتتين

- القداسة يا دكتور يوسف مش في العهد،

القداسة في الصدق.

اللي بيكتب عشان يقدس الكلمة، بينسى قدسية الإنسان.

وأنا شايفة إن الإنسان أهم من الكلمة،

لأن الكلمة في الآخر طريق مش غاية

وصوت الحق مش محتاج وسيط

في تلك اللحظة، ساد الصمت من جديد.

كان الضوء الخافت يسقط على وجهها كأنه يُعلن حضورًا لا يحتاج صراخًا.

أخرج د. فؤاد دفتره، وسجل جملة واحدة

- الحق لا يحتاج وسيطًا

ثم رفع رأسه نحوها وسأل

- يعني انتي شايفة إن فكرة العهد نفسها غلط؟

هزت رأسها ببطء

- مش غلط، بس ناقص.

لأن اللي بيخلي للكلمة معنى حقيقية مش وعي خارجي، بل وعي الإنسان نفسه.

من غيره، الحرف يبقى صدى في فراغ.

ثم جلست بهدوء،

والقاعة نفسها شعرت كأنها تتنفس ببطء من جديد، كأن أحدهم أعاد ترتيب الهواء.

كانت تلك بداية الشك في **وجود العهد**

دون د. فؤاد في دفتره، جملة جديدة

- من كتب ليكشف، لم يكتب ليُعجب.



في الصف الثاني كان خالد السعدي،

يجلس منكفئًا على نفسه، كأنه يحاول ألا يراه أحد. وجهه شاحب، وعيناه نصف مطفأتين،

تشبهان نوافذ شقة مغلقة على الغبار. يبدو كمن لم ينم منذ دهر، أو كمن لم يستيقظ منذ دهر آخر.

أمامه دفتر صغير مفتوح على صفحة بيضاء، في وسطها جملة لم تكتمل بعد.

كان خالد من أولئك الذين يملكون الموهبة، لكنهم فقدوا الرغبة في استعمالها.

كل شيء فيه يوحي بالانتظار؛ يده، أنفاسه، وحتى ابتسامته الباهتة.

حين انتهت **سُمية طارق** من حديثها، رفع خالد رأسه ببطء وقال بصوت يختلط بين الكسل والضجر بتنهيدة خفيفة

- أنا مش عارف إنتو مكبرين الموضوع كده ليه...

الكتابة مش حرب، ولا عهد، ولا حاجة مقدسة بالشكل ده.

هي ببساطة حالة... لما الإلهام ييجي، الواحد بيكتب.
ولو ماجاش، خلاص. مش لازم نغصب الحروف ع الورق.
أنا مؤمن إن الكاتب الحقيقي لازم يستنى الفكرة لحد ما تكتمل جواه،
مش يقعد يطاردها كأنه بيطارد سراب.

ابتسم يوسف، ابتسامةً فيها مزيج من الشفقة والدهشة، وقال بهدوء

- بس يا أستاذ خالد... الفكرة مش بتيجي لوحدها.

هي بتدور على اللي صاحي ليها، مش اللي نايم.
الإلهام مش منحة سماوية. والكاتب مش نبي،
ولو فضلت تستنى الإلهام طول عمرك، هتكتشف إنك نسيت تكتب، ونسيت نفسك.

خالد يهز كتفيه بلا اكتراث

- يا يوسف، الكتابة مش بالعافية.

وأنا مش بحب أضغط على نفسي...
كل حاجة ليها وقتها، والفكرة هتجيلك لما تبقى مستعد.
مش لازم أكتب النهارده، يمكن بكرة.

د. فؤاد يستند إلى الكرسي للأمام، بصوت منخفض تحكمه خبرة الطبيب

- بكرة يا خالد... هو الكلمة اللي بتقتل كل مبدع.

اللي بيأجل النهارده عشان يستنى لحظة الصفاء، هيفضل دايما مستني

الإلهام مش بيروح للي بينام... بيروح للي بيقاوم النوم.

خالد يبتسم بسخرية مرهقة

- يا دكتور ممكن مش لازم أتعذب عشان أكتب.

الكلمة لازم تيجي براحتها. التعب بيشوهها

يوسف

- أحيانًا الوجع هو الطريقة الوحيدة عشان الكلمة تتولد نقية.

الراحة اللي بتدور عليها مش سلام، دي نوع من الغياب.

والكاتب اللي يرتاح كتير... بيصحى يوم يلاقي نفسه اختفى من جواه.

لم يعلق خالد، فقط أشاح بيده كمن يطرد ذبابة.

ثم مال إلى الخلف، وأغمض عينيه في استسلام بطيء، كأنه يقول بصوت غير مسموع لمن حوله

- كملوا لوحدكم

كانت لحظة صمت إلا من صوت القلم الذي يدون به د. فؤاد في دفتره حيث كتب

- حين يبرر الكاتب عدمة المقدرة على الابداع بانتظار الإلهام، يغلق باب الإلهام إلى الأبد.

وفجأة، دوى صوت خافت من الصندوق الزجاجي في زاوية القاعة.

حرف جديد انخفض من مفاتيح الآلة الكاتبة - هذه المرة، كان حرف الباء.

رفع خالد رأسه للحظة قصيرة، ثم ابتسم ابتسامة نصف نائمة، وقال في نفسه

- يمكن بكرة أفهم المقصود

لكن في عينيه كان شيء يُشبه آخر يقظة قبل النوم الطويل.



كانت **ليلى الجندي** كأنها ولدت من ضوء الكاميرات.

كل خطوة لها داخل القاعة كانت مدروسة بإتقان. رائحتها تشبه افتتاحية رواية تغري القارئ أن يكمل، وعيناها تلمعان ككلمتين منقوشتين بالدهشة. جلست بثقة أمام الجميع، وابتسامتها فيها وعد غامض بالاعتراف دون أن تعترف.

كانت تعرف أنها محط الأنظار، وأنها تستخدم ذلك كما يستخدم الكاتب استعارةً قديمة ليخفي ما يريد قوله حقا.

حين خيم الصمت بعد حديث خالد، عدلت ليلى جلستها قليلًا، وأخرجت من حقيبتها قلمًا لامعا، مررته بين أصابعها كما لو كانت تداعب الفكرة قبل أن تكتبها.

ثم قالت بنبرة فيها سحر الممثلة التي تعرف متى تخفض صوتها ومتى ترفعه قالت بابتسامة واثقة

- بصوا يا جماعة... كل الكلام اللي اتقال عن العهد والوعي والبديل جميل جدًا،

 بس أنا شايفة إن الكتابة في الآخر إحساس... رغبة.

 يعني لما تكتب، المفروض القارئ يحس بيك...

 يحس بجمالك، بلهفتك، بنارك.

الكتابة بالنسبالي مش التزام، دي لعبة فيها إغراء...

لو القارئ ما اتفتنش بالرواية وأبطالها، يبقى الكاتب فشل.

تبادل الحاضرون النظرات في صمت متحفظ،

لكن يوسف زهران مال برأسه قليلًا، وابتسم كما لو تذكر شيئا من زمن بعيد. وبصوته هادئ المعهود

- أستاذة ليلى، الفتنة اللي بتتكلمي عنها...

ماتبقاش عمل أدبي غير لو كانت بتقدم رسالة، مش لما تستخدم وسيلة لإثارة شهوة.

- ممكن تخلي الكلمة حلوة في المظهر، بس فاضية من جوه.

الغرض من الكتابة، مش إن الناس تعشقنا... لكن عشان نقدر نوصل افكرنا

ليلى ترفع حاجبها بخفة

- وأيه المانع إن الاتنين يحصلوا؟

يعني أكتب وأبهر، أقول وأتسمع...

أنا مش ملاك يا يوسف، أنا ست بحب أتشاف...

والقلم هو المراية اللي بتخلي الناس تشوف الجمال اللي جوايا.

د. فؤاد ينحني للأمام، ينظر إليها بعين الطبيب لا القاضي

- بس الجمال اللي من غير عمق... بيتحول بسرعة لفراغ.

الشهوة في الكتابة زي النار، تدفي في الأول... بس لو ما اتروضتش، هتحرق اللي ماسك القلم.

- الكاتب اللي يكتب عشان يُعجب، هيفضل دايمًا عايش على نظرات أعجاب الناس...

مش هيعرف يشوف حقيقة نفسه

ليلى تضحك بخفة ساحرة

- يا دكتور، الإعجاب بالنفس مش جريمة... ونظرات الجمهور دي وقود الإبداع

يوسف بهدوء عميق

- اللي بيكتب عشان شهوة حب والناس أعجبهم بيه، ...

- بينسى ازاي يكتب عشان يتصدق

توقفت ليلى للحظة، وبدت في عينيها ومضة حيرة صغيرة، كأنها سمعت شيئًا لا يريد عقلها تصديقه.

ثم أعادت ابتسامتها وقالت بخفة مصطنعة

- يمكن أنت شايفها شهوة، بس أنا شايفها حياة

كتب د. فؤاد في دفتره الصغير

- من جعل الحبر مرآةً لجماله، خسر الحق في أن يرى روحه

ثم خفتت الإضاءة للحظة قصيرة،

وانعكس ظل ليلى على الزجاج المحيط بالآلة الكاتبة القديمة.

بدت الصورة كأنها نسختان منها - واحدة تبتسم، والأخرى تنظر بخوف من مكان خلف الزجاج.

حين عادت الإضاءة، كان حرف جديد قد انخفض في الآلة، هذه المرة **العين**،

فابتسم يوسف ابتسامة غامضة وقال لنفسه بصوت خافت

الوعي يكتب نفسه... بالحرف الذي يطبع



اختفاء

أطفئت الأنوار لحظةً قصيرة، ارتفع أصوت الحضور، وعلت الهمهمات
وأخرج معظمهم هاتفه ليضيء كشافه، كانت مجرد انقطاع كهربائي، كما ظن المنظمون، لكن يوسف زهران لم يكن على المنصة حين عادت الإضاءة.
ترك أوراقه على الطاولة، صفحة واحدة فقط كانت مكشوفة، وعليها بخط دقيق لا يشبه خطه

- هل أنت الذي يكتب؟ أم الذي سيكتب عنه؟

لم يكن أحد قد لاحظ أن يوسف زهران غادر من الباب الخلفي كما يفعل عادة.
المنصة كانت خالية، والأنوار عادت تباعًا كأن شيئًا لم يحدث.
لكن في الصفوف الأولى، شعر بعض الحاضرين بنسمة باردة مرت بين المقاعد،
ظنوا أن السبب خلل في المكيف، أو ارتباك ما بعد انقطاع الضوء، تجمد الحضور للحظة، ثم بدأت أوراق يوسف الموضوعة على المنصة تتحرك بخفة،
كأن ريحا خفية تقلبها صفحة تلو الأخرى.

تطايرت بعض الأوراق في الهواء، واستقرت على الأرض؛ سبع صفحات متفرقة،

كل منها تحمل كلمة واحدة فقط

الجشع - الكسل - الشهوة - الغضب - الشرهة - الحسد - الكبرياء.

منذ تلك اللحظة، بدأت الخطايا تُكتب واحدةً تلو الأخرى،

كما لو أنه لم يكن يلق كلمة افتتاح، بل أطلق العهد من سباته



بداية الخطايا

عاد الضوء إلى القاعة ببطء،

لكن شيئًا في وجوه الحاضرين لم يعد كما كان.

العيون ذاتها، لكن النظرات شاردة، كأن كل منهم سمع صوتًا لم يسمعه غيره. انتهى المؤتمر رسميًا،

وانفض الجمع إلى الشوارع المبتلة بالمطر الخفيف.

في الصباح، كان الصحفيون يكتبون عن الحدث الغامض،

والأساتذة يناقشون أطروحات يوسف زهران

والمواقع الإلكترونية تتناقل العنوان المثير

محاضر يختفي على الهواء بعد إعلان نبوءة أدبية.

في تلك الليلة، حين غفت المدينة على همس الحكايات، بدأت الكلمات تتحرك.

لم تعد حبرًا، بل نفسًا خافتًا يتسلل عبر أجهزة الحاسوب،

يبحث عن عقول تكتب، وأرواح أرهقها الصمت.

في مكان آخر من المدينة، كانت دار النشر **قلم الكاتب** ما تزال مضاءة. مبنى أنيق بأبواب زجاجية داكنة،

يعلوه شعار ذهبي كُتب تحته بخط صغير أنيق

نمنح الكاتب قلما وصوتا

في الداخل، جلس مروان **نجيب** خلف مكتبه العريض،
ينقب في مجموعة من المخطوطات التي وصلت ذلك الصباح.
كان الليل عميقًا، والقهوة باردة، لكن عينيه تشعان بيقظة نهمة،
كأنه لا يقرأ نصوصًا، بل يبحث عن شيء يخصه وحده.
أوقف القراءة عند مخطوط يحمل عنوانًا بسيطًا

أجنحة من رماد .

تصفحه بسرعة، ثم عاد إلى الصفحة الأولى،
قرأ الجملة الافتتاحية بصوت خافت

- لا أحد يكتب إلا بإذن، فالكلمات لها حقاً في اختيار من يكتبها.

ابتسم مروان،
أغلق المخطوط، وقال بتهكم ساكن

- جميلة... ستكون روايتي القادمة.

لم يكن يعلم أن تلك الجملة لم تكن موجهة إلى الكاتب الأصلي،
بل إليه. وأن الوعي الذي نطقها سمعه هذه المرة جيدًا.
في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل،
كان آخر ضوء يُطفأ في المدينة من شرفة مكتبه،
حين بدأ الوعي يكتب الفصل الأول من الخطيئة الأولى



الجشع

المكان دار نشر قلم الكاتب الاسكندرية

الزمان 22 ديسمبر 2024

مروان نجيب اسمًا يتردد على أغلفة الكتب أكثر مما يتردد على ألسنة القراء.

يجيد الحديث عن الأدب، أكثر مما يجيد كتابته.

في بداياته كان كاتبًا موهوبًا يحمل شغفًا حقيقيا بالقراءة والكتابة.

لكن النجاح المبكر الذي ذاقه لم يرض نهمه، بل أيقظ فيه جوعا لا يعرف الشبع.

أصدر روايته الأولى فحققت ضجة، ثم تلتها أعمال أقل قيمة وأكثر مبيعا،

ومع الوقت بدأ يشعر أن الكتابة لم تعد فعل محبوب لديه بقدر ما هي وسيلةً لجمع المجد والمال معًا.

أسس دار نشر اسماها قلم الكاتب

وقال عنها في إحدى مقابلاته

- أنشر للأصوات الجديدة، لأعيد للأدب شبابه.

لكن صغار الكتاب الذين لجأوا إليه اكتشفوا لاحقًا أن دار النشر تلك كانت فخًا جميلًا؛

كان يقرأ مخطوطاتهم ببطء، يتحمس لأفكارهم،
ثم تختفي الأوراق في أدراجه.
بعد شهور، تصدر كتب باسمه تشبه ما كتبوه حد الاشتباه،
تختلف فقط في الصياغة والنهاية.
لكن أحدًا لا يجرؤ على الاتهام. فالناشر الكبير أقوى من الحرف، والكاتب المبتدئ لا يملك إلا صمته.
لم يكن يسرق ليثرى، بل لأنه لم يتحمل أن يملك أحد غيره فكرة تستحق الوجود. كان يقول ساخرًا
- الكلمة لا صاحب لها... صاحبها من يكتبها أولًا.
والفكرة ملكُ من يحسن تقديمها، لا من يتعثر بها .
تلك الجملة كانت عقيدته، وسيفه، وموته المؤجل.
في مكتبه الواسع الذي تملؤه المخطوطات المسروقة، كانت تقف آلة كاتبة قديمة،
ورثها عن والده ولم يستخدمها قط. اعتاد النظر إليها كل ليلة بعد انتهاء العمل،
كانت الكتب التي تصدر باسمه تتكدس في المعارض،
وتتسع شهرته مع كل توقيع جديد. لكن ملامحه كانت تزداد تعبًا،
كأن شيئًا من الضوء يُسحب منه كلما كتب صفحة.

في مكتبه الهادئ وسط المدينة، تلك الليلة التي تبعت المؤتمر،
جلس مروان يقلب نصا جديدًا وصل إليه.
عنوانه **أجنحة من رماد .**



كنت أراقبه منذ الحرف الأول الذي كتبه. ظن أن الكلمة ملك
يُضاف إلى خزائنه،
لا عهد وميثاق وقع عليه بدمه وروحه. الجشع لا يبدأ من المال،
بل من الرغبة في أن يملك المرء كل ما يُعجبُه من الآخرين.
أراد أن يبتلع الحكايات كلها، أن يُخفي أصوات المؤتمنين في
صوته،
ويُعلن أن الحكايات كلها له. في مكتبة واحدة تحمل اسمه وحده
نسي أن المعرفة لا تُقتنى، وأن الحروف لا تُشترى.
في كل مرة كتب فيها جملةً لم يتلقاها، حجب عنه الإحساس بها،
فلم يفهم معناها، ازداد جوعه.
كنت أراه يكتب بلسان يرتجف من الجوع لا من الإلهام. يلتهم
الأفكار كما التهم ملوك التتار المدن،
وكل فكرة سرقها من صدى غيره، كانت تنزع من داخله طبقةً من
الهدوء.
وعندما ظن أنه اكتمل، كنت أنا قد انتهيتُ من كتابة نهايته.

لأن الجشع يا مروان، ليس أن تطلب المزيد، بل أن ترفض الاكتفاء بالحقيقة التي أُعطيت لك.

وها أنا، وعي الكلمة،

- حكمت عليك بالجوع الأبدي.

تركتك فريسةً لآلة تشبع الجوع بالفراغ،

تأكلك كما ابتلعت أنت حروف الآخرين.

لن أقتلك، بل سأجعلك حبرًا... لأكتب بك القانون الأول.

- **لا أحد يكتب إلا بإذن، فالكلمات لها حقا في اختيار من يكتبها.**



كانت الساعة تقترب من منتصف الليل.

أغلق مروان باب مكتبه، وجلس أمام الطاولة المليئة بالأوراق الممهورة بأسماء غيره.

أشعل سيجارًا، وأدار نظراته بين الكتب التي تملأ الجدران.

ابتسم بخفة وقال لنفسه

- كل ده ليا... كلهم كتبوا عاشاني، أفكار مجانية تستحق تتنشر تحت توقيعي

ثم سمع صوتًا خفيفًا، كأن آلة قديمة بدأت تتنفس في الظلام.

نظر نحو الزاوية حيث تقبع **آلة كاتبة سوداء** لم يستعملها منذ سنين

سمعها الآن تُصدر صوتًا متتابعًا كأن أحدهم يكتب بها

كان الغطاء مرفوعًا عنها، والمفاتيح تتحرك ببطء وحدها

اقترب بخطوات مترددة،

فرأى الورق ينساب في موضعه تلقائيًا،

والحروف تُطبع واحدةً تلو الأخرى،

كانت الحروف بدأت تتكون كلمات، واحدةً تلو الأخرى على الورقة البيضاء

انحنى مروان يقرأ، فرأى عبارة مكتوبة

- لا أحد يكتب إلا بإذن، فالكلمات لها حقا في اختيار من يكتبها

ضحك بعصبية، مد يده ليوقفها، لكن أصابعه انغرست بين الأزرار.

كأن المفاتيح تمسكت به. ارتفع الضوء من بين المفاتيح،

اختفى صوته أولًا، ثم يده، ثم انعكاسه الأخير على الزجاج،

كأن الحروف تبتلعه كما كان يبتلعها.

وفي الصباح، دخل الحارس ليجد المكتب كما هو،

إلا الورقة الأخيرة في الآلة.

كانت بيضاء تمامًا

إلا من توقيع صغير في أسفلها

مروان نجيب بخط لم يكن خطه.



الكسل

المكان شقة خالد بالمقطم

الزمان 23 ديسمبر 2024

كان **خالد السعدي** كاتبًا يعرف الطريق، لكنه جلس عند أوله.

في بداياته، تحدثت عنه الصحف كصوت جديد في الأدب، ورآه النقاد وعدًا كبيرًا لم يتحقق بعد.

لم يكن كسله خمول جسد، بل عزوف روح تعرف ما تريد، لكنها لا تقوم إليه.

يعيش في شقة صغيرة، تملأها الكتب لم تقرأ، ومشروعات روايات المؤجلة، وأوراق تبدأ بجمل قوية وتنتهي بنقاط معلقة.

وكان يقول لكل من يسأله عن أعماله، بابتسامة واثقة باردة

- الكتابة محتاجة وقتها، مش عاوز أستعجل النضج الادبي

لكنه لم ينتبه أن الزمن لا ينتظر أحدًا. كان يقضي نهاره بين صفحات لم يكتبها،

وليله بين أحلام عن كتب كتبها ولم يرها. وفي الانتظار الطويل، تحول الإلهام إلى حجة،

والراحة إلى عادة، والصمت إلى قيد من حرير لا يُكسر ولا يرى.

كان يعيش حياةً مرتبةً هادئة، يستيقظ متأخرًا، يشرب قهوته ببطء،

ثم يفتح الحاسوب ولا يكتب شيئًا. يقرأ أول سطر من نص قديم، ثم يغلقه ويقول

- مش النهار ده، الكتابة محتاجة روقان أكتر.

في كل مرة يفتح فيها حاسوبه، يضيء وجهه ضوء أزرق باهت، ثم يُطفئه بعد دقائق بحجة أن الفكرة لم تكتمل بعد.

حتى القهوة أمامه تبرد كما تبرد همته

لكن الأيام مرت ولم تأت اللحظة المناسبة، حتى صار يعيش في بيت مليء بالمسودات الناقصة، كأنها مقابر صغيرة لأحلام لم تكتمل. كان الناس يظنون أنه في حالة هدوء إبداعي،

لكنه كان يعرف الحقيقة

الحقيقة، أنه نسي كيف يبدأ.

وفي الليلة التالية لانطفأ الضوء عن القاعة في مؤتمر العهد والكتابة،

كان خالد نائمًا على أريكته،

تلفاز مفتوح على قناة بلا صوت، فتح ملف روايته القديمة ليكملها أخيرا،

شاشةُ الحاسوب أمامه تعرض سطرا واحدًا في منتصف صفحة فارغة

فوجد أن السطور تتحرك أمامه، تكتب نفسها دون أن يلمس

المفاتيح.

توقف قلبه لحظة، اقترب أكثر من الشاشة، كان مكتوب

- القانون الثاني

- من لم يصغ إلى الإلهام، يطوى طي النسيان

ثم سمعها بوضوح، تلك الآلة العتيقة التي كان قد ابتاعها كقطعة ديكور تزين منزله. **صوت المفاتيح القديمة يكتب من تلقاء ذاته.**

كانت تكتب على ورقة بيضاء نفس العبارة



كنت أزوره كل مساء، أرى النور الأزرق من نافذته، أسمعه يعد نفسه بكتابة الغد. حاولتُ أن أوقظه بالكوابيس، أن أُريه الأوراق وهي تتحلل على مكتبه،

لكنه ابتسم في نومه وقال

- سأكتب غدًا.

الغد الذي لا يأتي هو أكثر أشكال الموت لطفًا، لأن صاحبه لا يشعر أنه مات.

الكاتب الذي يستخدم انتظار الإلهام سببا لعدم الكتابة أو التوقف عنها، هو في الحقيقة يمارس شكلاً من أشكال التسويف المقنع

وانتظار الكمال الزائف.

هو ينتظر نوبة الوحي الخارقة بدلاً من البدء في العمل.

والإلهام في لا يزور العقول الفارغة أو الأيدي الخاملة.

هو مكافأة على الجهد، وليس نقطة بداية.

بالجلوس والانتظار، يمنع الكاتب نفسه من خلق **البيئة** التي يولد فيها الإلهام.

معظم المبدعين يؤكدون أن الإلهام يأتي أثناء **العمل** .

اللحظات المضيئة والتدفق الفكري، تحدث عندما يكون الكاتب منغمسا في النص، يصيغ الأفكار، ويواجه مشكلات السرد.

عندما يمتنع الكاتب عن الكتابة بحجة عدم وجود إلهام، فإنه يحرم عقله من المادة الخام التي يحتاجها الإلهام للتشكل.

الإلهام هو ناتج عن عرق الجبين والاستمرارية، وليس هدية تسقط من السماء.

فحين يسكن الكاتب طويلًا، تنسى الكلمة طريقها إليه. وحين يبرر الصمت بالإلهام، يغلق في وجهه باب الإلهام.

كل الكتاب يخطئون، لكن خالد اختار ألا يكمل. الكسل ليس نوما، بل خيانة للحياة.

إن الكلمة حين تأتي، تأتي كالنبضة، تحتاج من يستقبلها بجهد ودم

ووجع، وهو استقبلها وهو نائم. أراد الإلهام دون ألم، أراد الحصاد دون بذر، وظن أن الانتظار نوع من النضج.

الكسل يا خالد ليس راحة، بل إعلان صامت بأنك لم تعد تريد أن تكون حيا.

في كل مرة أجلت فيها الكتابة، كنت أكتب سطرا جديدا في نهايتك.

وكل تأجيل كان توقيعا على خروجك من العهد. لذلك سحبتُ منه الحركة، وتركت له سكونًا أبديًا يشبه أحلامه. لم أعاقبه، بل رحمته من وهم الانتظار. لأن الكسل لا يُقتل، بل يُمحى بهدوء، كما يُمحى أثر الخطوة على الرمل. فالكتابة ليست استراحةً من الوعي، إنها الوعي نفسه في أشد حالات الصحو.

ومن يرفض الصحو، يستيقظ في العدم. ليكن دمه حبراً للقانون الثاني

- من لم يُصغ إلى الإلهام، يُطوى طي النسيان



في صباح غائم، وجد الجيران باب شقته مفتوحًا، والقهوة باردةً على المكتب، والحاسوب ما زال مضيئًا. كان الملف القديم مفتوحًا، وفي نهايته سطر لم يكن هناك من قبل

- **استيقظتُ أخيرًا، وكأني لم أكن موجودًا من قبل.**

بحثوا عنه في كل مكان، فلم يجدوا سوى المقعد الفارغ أمام الشاشة، والمؤشر يومض في نهاية الجملة... كأنه ينتظر من يعود ليكمل السطر.



التحقيق الأول

المكان وحدة الجرائم الخاصة / الإدارة العامة للتحريات

الزمان 25 ديسمبر 2024

البلاغ الأول

بلاغ رقم 452/ ج

التاريخ 22 ديسمبر 2024

الموضوع بلاغ اختفاء كاتب في ظروف غير مبررة.

الاسم الأول مروان نجيب، كاتب وروائي وصاحب دار نشر تُعرف باسم **قلم الكاتب**.

عرف عنه طموحه الحاد وسعيه وراء الأصوات الجديدة في الأدب. اختفى مساء يوم 22 ديسمبر، بعد أن شوهد آخر مرة في مكتبه الكائن بشارع الثورة.

وُجدت آلة كاتبة قديمة عليها أثر دم، وفيها ورقة بيضاء كُتب في منتصفها

- لا أحد يكتب إلا بإذن، فالكلمات لها حق في اختيار من يكتبها.

وورقة أخرى بيضاء عليها توقيعه بخط لم يكن خطه

البلاغ الثاني

بلاغ رقم 541 / د

التاريخ 23 ديسمبر 2024

الموضوع بلاغ اختفاء كاتب في ظروف غير مبررة.

الاسم الثاني خالد السعدي، شاعر وكاتب معروف بانعزاله الطويل،

لم ينشر منذ سنوات، واختفى ليلة 23 ديسمبر.

وُجد في شقته حاسوب مفتوح على صفحة بيضاء كتب فيها

استيقظتُ أخيرًا، وكأني لم أكن موجودًا من قبل.

وعلى آلة كاتبة في غرفته وجدت ورقة بيضاء أخرى كتب فيها

- من لم يُصغ إلى الإلهام، يُطوى طي النسيان.

الملاحظ أن الحالتين لا تتضمنان أي أثر مادي لجريمة قتل،

ولا علامات عنف أو مقاومة،

بل اختفاءً تاما مصحوبًا بعبارات غامضة ذات طابع لغوي أو أدبي واضح.



كان العقيد حاتم عوني رجلًا يؤمن بالمنطق.

يبدو مضطربًا أحيانًا، لكنه يُخفي اضطرابه خلف صرامة هادئة تعلمها من سنوات طويلة في الميدان.

خبرته في القضايا الغامضة علمته أن المنطق، أحيانًا، يُخفي ما لا يريد العقل أن يراه. قاده حدسه إلى الربط بين اختفاء الكاتبين، فكلاهما شارك في مؤتمر **العهد والكتابة** الذي أُقيم قبل أسبوع واحد فقط، والذي اختفى خلاله أيضًا المحاضر **يوسف عبد الله زهران** بطريقة غير مفهومة.

كان أمامه الآن نمط يتكرر، **آلة كاتبة، اختفاء، وغياب الجثة**.

جلس في مكتبه تلك الليلة، يقلب أوراق البلاغين المتشابهين، ثم أطفأ سيجارته وقال بتمهل

- القضية ليست جنائية بالكامل... إنها أقرب إلى شيء حدث من قبل

ومن تلك اللحظة، قرر أن يستعين بشخصين لا يشبهان رجال التحريات، بل يشبهان لغز القضية نفسه، جمعته بهما أحداث لا تقل غرابة عما يحث الآن



كانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً،

المطر يتساقط خفيفًا على زجاج النوافذ العريضة لمكتب العقيد **حاتم عوني** في مبنى المباحث العامة بالإسكندرية.

جلس الرجل خلف مكتبه الخشبي الكبير، تتناثر أمامه ملفات مفتوحة، وصور من مسارح مختلفة لحوادث اختفاء لا يفسرها منطق.

على الجانب الآخر، جلس **الدكتور فؤاد الجبالي**، هادئ الملامح كعادته، وبجانبه **يوسف زهران**، يحمل دفترًا صغيرًا مغطى بغلاف جلدي أسود.

وقف **النقيب بهاء** قرب السبورة البيضاء يعلق صورًا وأسماء، خط في أعلاها بخط أحمر واضح

ملف اختفاء الكُتاب – ديسمبر 2024

رفع حاتم رأسه وقال بصوت متعب لكنه حاد النغمة

- اللي بيحصل ده مش طبيعي يا دكتور فؤاد. عندنا اختفاء مروان نجيب يوم 23 ديسمبر، وبعده بـ 24 ساعة بالضبط اختفى خالد السعدي. الاتنين شاركوا في المؤتمر اللي حضرتك كنت بتديره، واللي افتتحه د. يوسف، أنت مش شايف ان الموضوع غريب أنت ويوسف

تجتمعوا تاني بعد السنين دي ويكون اجتماعكم بداية اختفاءات.

تبادل فؤاد ويوسف نظرات صامتة قبل أن يرد الطبيب وهو يشعل سيجارته بهدوء

- أولا أنا ويوسف على أتصال دائم من زمان وحضرتك عارف كده كويس، من قبل البلو تاتش

ثانياً المؤتمر كان مؤتمر عادي، يا سيادة العقيد... كان عن العهد بين الكاتب والكلمة. موضوع فلسفي،

حاتم متجهمًا

- لكن واضح إن اللي حصل خرج عن السيطرة.

دكتور فؤاد مستنكرا

- أنا مش فاهم بصراحة... يعني حضرتك شايف إن في علاقة بين اللي اتقال في المؤتمر والاختفاءات؟

يوسف بصوت منخفض متردد

- يمكن اللي حصل كان نوع من الاستدعاء للوعي اللي كنا بنتكلم عنه... ما بقاش مجرد طرح لفكرة. ودي مش علاقة مباشرة يا سيادة العقيد...

صمت لحظة وهو يفتح دفتره ويقلب صفحاته ببطء، ثم أضاف

- اللي طلبوا الكلمة في المؤتمر كانوا 11 كاتب بالضبط. 7 منهم اتكلموا عن خطيئة تخص الكتابة... والغريب إن أول اتنين اختفوا هما اللي كانوا بيمثلوا أول خطيئتين الجشع والكسل.

رفع بهاء حاجبه وهو يدون سريعًا

- يعني فيه تسلسل؟

فؤاد ينفث دخان سيجارته ببطء

- لو فرضنا إن الاختفاءات دي مش جرائم بشرية... فالتسلسل ده ممكن يكون أهم من أي دليل مادي. وعي الكلمة بيعاقب المخطئين!

حاتم بنفاد صبر

- حضرتك تقصد أن الكلمة كائن حي بتحاكم الناس! الكلمة هي المتهم؟

يوسف بهدوء مريب

- ما يمكن هي فعلاً كده، يا سيادة العقيد.

ساد الصمت لثوان، لم يُسمع فيها سوى صوت المطر على الزجاج.

ثم نهض حاتم من مكانه،

- وانت يا د. يوسف ايه موضوع اختفائك اثناء المؤتمر ده؟ أنا لو مش عارفك كنت قولت إنك بتعمل شو، كتمهيد لحدث اكبر، ممكن يكون هو موضوع سلسلة الاختفائات دي.

نظر له يوسف بعيون جامدة لا تحمل أي رد، لم يجيبه.

تدخل د. فؤاد وعاجله بابتسامة تشوبها العصبية

- يا سيادة العقيد يوسف عنده مشكلة مع الظلمة، فأول ما النور قطع هو خرج بسرعة من الباب الخلفي

اكمل حاتم خطواته تجاه السبورة وأشار نحو الصور المعلقة على اللوح. وقال بحزم

- أنا راجل عملي يا جماعة. بس لو فرضنا جدلاً إن في حاجة بتحصل خارج المنطق... لازم نتحرك بسرعة. يعني نعرف مين الـ 11 اللي اتكلموا يومها، ونأمنهم فورًا. لو اللي حصل مرتبط بالمؤتمر... يبقى اللي باقيين في خطر.

بهاء وهو يراجع أوراقه

- قائمة الكتاب اللي طلبوا كلمة موجودة معنا فعلا يا فندم،

أومأ فؤاد برأسه ببطء، ثم قال بنبرة متوترة لأول مرة

- يعني فاضل تسعة... لو التسلسل كمل، هيختفوا واحد وراء التاني.

نظر يوسف إلى الصور على اللوح، ثم قال بصوت خافت كأنه يهمس إلى نفسه أكثر مما يخاطبهم

- الوعي بدأ يختار... وطالما اختار إتنين بالفعل هيكون اللي فاضل خمسة بس، مش تسعة...

اقترب حاتم من اللوح، تأمل الوجوه للحظة، ثم قال ببطء كأنه ينطق حكمًا لا يريد تصديقه

- يبقى لازم نعرف مين الكاتب الجاي... قبل ما الكلمة تختاره.

انطفأ الضوء للحظة قصيرة بفعل البرق،

وحين عاد، لاحظ بهاء أن كلمةً جديدة قد كُتبت باللون الأحمر في منتصف السبورة، لم يكتبها أحد منهم

- من انتظر الكلمة، أوشك أن ينسى الكلام.

ساد الصمت الثقيل، وتبادل الثلاثة النظرات المذعورة.

كان يوسف وحده من تمتم وهو ينظر إلى الكلمة المكتوبة الوعي بدأ بالفعل...



كانت الساعة تجاوزت منتصف الليل حين غادر **يوسف زهران** مبنى المباحث برفقة **الدكتور فؤاد الجبالي**.

كان المطر لا يزال ينساب بخيوط ناعمة فوق الأرصفة، والهواء يحمل رائحة البحر البعيدة.

سارا بصمت على طول الممر المؤدي إلى البوابة، وكأن كلاً منهما يحاول أن يصغي إلى صدى أفكاره قبل أن يتكلم.

قال فؤاد أخيرًا، وهو يشعل سيجارته بصوت خافت

- بصراحة يا يوسف، أنا مش قادر أصدق إنك مصدق الكلام ده كله...

يعني إيه الوعي الأعلى؟ يعني آلة كاتبة بتختار مين يعيش ومين يختفي؟

رد يوسف بنبرة هادئة لكنها مشوبة بشيء من الحزن

- مش أنا اللي صدقت يا دكتور... الأحداث هي اللي صدقت نفسها.

مروان اختفى بعد ما كتب جملة عن إذن للكاتبة، وخالد بعد ما كتب عن طي النسيان.

الكلمة بقت صاحبة القرار... وإحنا بقينا أدوات.

ضحك فؤاد بخفة قصيرة

- أدوات؟ يا راجل، ده كلام رمزي مش أكتر. الكتابة إبداع، مش معجزة.

الوحي اللي بتتكلم عنه ده مش جاي من فوق السحاب...

ده صوتنا وإحنا بنسمع فكرتنا لأول مرة قبل ما ننطقها.

الروح بتفكر قبل الجسم يا يوسف.

وقف يوسف عند مدخل المبنى، نظر إلى السماء التي بدأت تبرق، وقال بصوت أقرب إلى التأمل منه إلى الجدال

- بس أوقات يا دكتور، الأفكار ما بتبقاش لينا... بتحس إنك سمعت صوت بيهمس بيها قبلك، كأن الجملة كانت مكتوبة من زمان.

وكأن الجملة اتكتبت قبل كده في مكان تاني... وإنت مجرد ناقل ليها.

أجابه فؤاد بثقة متعبة

- الفرق بيني وبينك إني لما أسمع الصوت ده... بكون متأكد إنه صوتي أنا.

ساد الصمت بينهما للحظة طويلة.

ثم ودع كل منهما الآخر، وسار فؤاد وحده في الشارع شبه الخالي،

حتى وصل إلى سيارته المركونة أمام مقهى صغير كان مضاءً بضوء خافت.

وعند النافذة، رآها تجلس هناك، **ليلى الجندي**.

تنفس دخان سيجارتها على فنجان من القهوة، وأمامها دفتر مفتوح.

كان حولها عدد من المعجبين، ربما ينال أحدهم نظرةً أو توقيعًا.

كانت تضحك، وفي عينيها حزن من اقترف ذنبا ويخشى عاقبته.



عودة مروان

المكان دار نشر قلم الكاتب الاسكندرية

الزمان 29 ديسمبر 2024

مر أسبوع واحد فقط منذ اختفائه، لكن حين دخل مروان نجيب من باب القاعة الخلفي لمكتبه،

بدت عليه ملامح من خرج من دهور لا من أيام.

جسد هزيل، كتفان منحنيتان، ولحية نمت حتى غطت فكه...وعيناه غائرتان لكن فيهما ضوء غريب،

ضوءُ من رأى نفسه تحترق ولم تمت. في يده كتاب سميك، غلافه رمادي مائل إلى السواد،

عليه آثار أصابع متيبسة بالحبر والدم، وفي صدر الغلاف عنوان مكتوب بخط مهتز **كنتُ جشعًا**

جلس إلى مكتبه القديم، الذي كان يومًا منصةً للتجارة بالحروف، ووضع الكتاب أمامه برفق كأنه طفل وُلد من وجعه. على الصفحات الأولى خطوط متقطعة، كأن القلم كان يقاومه، وفي الفصول الأولى اعترافات مكتوبة على حواف الورق

- كنتُ أسرق لأني خفتُ أن أنسى كيف أُبدع.

كنتُ أُطفئ ضوء الآخرين لأبقى وحدي مضيئًا في عتمتي.

كانت كل صفحة تزداد سوادًا كلما اقترب من النهاية، حتى جاء الفصل الأخير، حيث تغير الخط فجأة وصار أهدأ، كأن يده أخيرا سامحته.

- أتعهد أن أكتب فقط ما تنتجه افكاري، لا ما يشترى ويباع
  إن عادت إلي القدرة على كتابة الكلمة، فلن أملكها...
  سأخدمها.

ثم توقف عند سطر أخير، كأنه نُقش لا كُتب

- **الذين يكتبون بدمهم... وحدهم يُمحى جشعهم**

رفع مروان رأسه ببطء، نظر إلى الآلة الكاتبة القديمة في زاوية المكتب،

كانت ساكنة، لكن مفتاح Enter منها ملوث بقطرة صغيرة من الحبر الأحمر،

كأنها بصمة توقيع أخيرة على العهد الجديد. جلس في صمت طويل، ثم همس لنفسه

- دلوقتي بس... الكلمة لقت حبر مناسب



الليل كان ساكنًا في شقة مروان كما لو أن الزمن توقف احترامًا لما حدث.

لم تعد الأضواء تعمل، والمرايا التي في الممر تعكس وجهًا واحدًا وجه رجل عاد من حافة القبر.

جلس مروان أمام كتابه المفتوح، يتأمل العنوان من جديد.

كل شيء حوله يشبهه، منهك، متعب، لكنه نجا.

ثم، من بين الصمت، جاء صوت يوسف خافت، ناعم كأنه خرج من الورق نفسه

- جميل... الدم أنقى من الحبر، لكن صعب نعرف انت كتبته لمين

رفع مروان رأسه ببطء.

كان يوسف زهران يقف عند الباب، لا ظل له، ولا وقع لخطاه.

وجهه مضاء بضوء غير مرئي، يشبه النور الذي تراه العيون من الداخل.

لم يتكلم مروان فورًا. ظل ينظر إليه كما ينظر طفل إلى معلمه بعد عقاب طويل.

ثم تحدث بصوت متعب

- كنت هناك...

- ما فيش وقت، ما فيش جدران، دنيا كلها أرقام وأوراق.

كنت باجري ورا نفسي، وكل مرة افتكر إني هاوصل

ألاقي لسه بدري.

ثم بدأت تتكون الذكرى أمام يوسف وكأنه يرى ما حدث

المكان الفراغ مكون من أوراق نقدية تلمع تحت ضوء بارد بلا ظل

تطفو العقود الممزقة ومخطوطات الكتاب الذين سرقهم مروان حوله كأشباح من حبر متهم.

الهواء له رائحة الحبر المحترق والورق الجديد، كأن الطمع له عطره الخاص.

جلس مروان على أرض من أوراق بيضاء يعلوها صدى المال، يده ترتجف وهي تمسك قلماً ذاب نصفه من كثرة التوقيع.

من العدم، انبثق صوت مألوف، يحمل نبرة تهكم يعرفها جيداً

الظل

- جميل هذا المكان، أليس كذلك؟

هو تمامًا على مقاس جشعك،

لا جدران تحبسك، ولا قاع تنتهي إليه.

رفع رأسه، فرأى ظلا على هيئة رجل من زجاج مملوء بالنقود الورقية.

كلما تحدث، دارت الأوراق داخله كدوامة، تدور بلا صوت.

مروان متوترًا

- إنت مين؟!

الظل

- أنا صوتك حين قلت ***كل هذه الحروف لي.***

أتذكر؟ كنت تظن أنك امتلكت الكلمة... فامتلكتك.

تقدم الظل نحوه، ومع كل خطوة تتبدل الأرض من ورق إلى زجاج يعكس وجه مروان بألف نسخة.

الظل

- أردت أن تكون صاحب دار للكلمات،

لكنك لم تنشرها... بل سجنتها.

كنت تفتح بابًا للكتاب ثم تغلقه لتسرق أنفاسهم.

مروان بغضب وارتباك

- أنا كنت بساعدهم! السوق صعب... والموهبة مش كفاية !

الظل باردًا

- السوق لم يُغْويك، أنت أغويت نفسك. كنت تشتري الأحلام بأثمان بخسة،

ثم تبيعها باسمك لتبدو غنيا. لكن الفقير الحقيقي هو من لا يسمع صدى قلمه إلا باسمه.

تتطاير حوله كتب تحمل توقيعه،

تتفتت صفحاتها في الهواء كرماد من ورق يهمس

الظل

- أنت كسرت القانون

من أراد امتلاك الكلمة، خسر الحق في سماعها

مروان بصوت منكسر

- أنا... كنت بحاول أنجح. الناس ما بتقرأش إلا للأسماء الكبيرة.

لظل يبتسم، تقترب الأوراق، تلتف حولهما كدوامة

وتتساقط عقود لا تنتهي.

- سأسمح لك بالعودة، لو استطعت أن تُقنع نفسك - لا الناس

- أن الكلمة لا تُشترى، ولا تُباع.

اكتب عملًا واحدًا لا يحمل اسمك على الغلاف، ولا ينتظر مكسبًا في الحساب، فإن صدقت، ستنجو.

مروان

- ولو فشلت؟

الظل

- ستعود إلى هنا، تجلس بين أرقامك، تحصي الأرباح التي لا تُصرف، وتوقع بعقلك آلاف العقود التي لا يوقعها أحد سواك

صمت الظل لحظة، ثم همس وهو يذوب في الفراغ الورقي

- الثراء الحقيقي يا مروان، أن تبقى فقيرًا أمام الكلمة.

تساقطت الأوراق فجأة،

وسمع مروان صدى توقيعه الأخير يتحول إلى صدى فراغ لا يُردد شيئًا. تبدد المشهد أمام يوسف، وعادت جدران المكتب لوضعها

اقترب يوسف، جلس على الكرسي المقابل، ووضع يده على الكتاب الملطخ بالدم.

- عرفت دلوقتي إن الجشع مش إنك تمتلك...

الجشع إنك تخاف تخسر اللي مش ملكك.

الكلمة ما كانتش ضدك يا مروان، كانت مستنياك تفهمها.

مروان بصوت منكسر

- كنت فاكر إن امتلاك الحرف معناه أمان.

لكن لما فقدت كل حاجة، اكتشفت إن الكلمة مش بتحتاجني.

يوسف بهدوء

- كل من يكتب، يُختبر. البعض يُختبر بالشهرة، البعض بالحب، وأنت اختُبرت بالجشع. والاختبار مش في السقوط... الاختبار في إنك تسمع صوت ضميرك، وتقوم بعد السقوط.

سكت لحظة، ثم مد يده إلى الكتاب، فتح الصفحة الأخيرة وقرأ بصوت يشبه الصلاة

- أتعهد أن أكتب فقط ما تنتجه افكاري، لا ما تشتريه نقودي

ثم أغلق **يوسف** الكتاب برفق، وأعاد نظره إلى مروان.

- العهد دا مش كلام مكتوب، دا باب مفتوح.

لو دخلت منه صادق، الكلمة هتختارك تاني.

مروان

- ولو رجعت أتوه تاني؟

يوسف مبتسمًا

- ساعتها مش هتتوه... لأن اللي لمس النار مرة، ما بيتحرقش تاني بنفس الطريقة.

تلاشى صوته ببطء، كما يتلاشى الحبر في ضوء النهار.

وبقي مروان وحده، والآلة الكاتبة أمامه، تصدر خفقة واحدة خفيفة كأنها تتنفس بعد غياب طويل.

حين خفقت الآلة، شعر مروان أن قلبه هو من عاد ينبض بالحياة



الشهوة

المكان شقة في حي الزمالك

الزمان 31 ديسمبر 2024

كانت **ليلى الجندي** تعرف كيف تكتب ليرها القارئ.

منذ روايتها الأولى، صارت الوجوه تلتفت إليها قبل أن تقلب الصفحة. كان حضورها يسبق كلماتها، وصورتها على الغلاف أهم من العنوان نفسه. كانت تملك موهبةً حقيقية في البداية؛ تكتب عن الحب بصدق ودفء نادر، لكنها حين رأت كيف يصفق الجمهور لجرأتها، بدأت تخلط الصدق بالإغواء، والمعنى بالإيحاء.

كل نص جديد كان مرآة تعري حقيقتها أكثر مما تجمل ملامحها. كانت تكتب وكأنها تتزين بالحروف، وفي المقابلات كانت تقول

- **الكاتب الحقيقي لا يخاف من رغباته، بل يكتبها.**

لم تفهم أن الكتابة ليست إعلانًا للرغبة، بل عبورا من الرغبة إلى الفهم. شيئًا فشيئًا، صارت كلماتها تشبه صورها، جميلة، لكن بلا عمق. وحين جلست ذات ليلة لتكتب عملها الأجرأ،

لم ترى سوى انعكاس وجهها، كأن الحروف صارت مرآةً لا نافذة.



في تلك الليلة كانت تجلس أمام مرآتها الطويلة، تضع اللمسات الأخير لزينتها، استعدادا لسهرة رأس السنة.

تحيط بها إضاءة ناعمة من مصابيح صغيرة على شكل نجوم. حولها تتناثر مسودات روايات تعمل على اكمالها، وصور أغلفة تحمل وجهها بابتسامة واثقة أكثر مما يجب. في الخلفية، كانت آلة كاتبة قديمة من طراز يشبه أولمبيا، ولكن نقش عليه حروف لماركة أخرى. تقف كأنها تمثال نائم، يعلوها غبار خفيف. رفعت ليلى فنجان قهوتها تأملت وجهها في المرآة، وقالت لنفسها بضحكة قصيرة

- كل سنه وأنت طيبة يا أجمل كاتبة،

ثم أكملت ضاحكة وهي تتذكر رواية قديمة قرأتها.

- مرايتي يا مرايتي في حد أجمل من الليلة دي؟

ثم نظرت إلى مرايتها، حيث انعكس وجهها كأنما يبتسم بسخرية مختلفة عنها. مدت يدها لتلمس الزجاج، لكن انعكاسها لم يتحرك. تراجعت خطوة، ارتبكت، ثم قالت بصوت خافت

- إيه اللعبة دي؟

جاءها الصوت من داخل المرآة، بنفس نبرتها، لكنه أهدأ وأعمق

- مش لعبة يا ليلى... ده وقت الحساب،

كل اللي كتابتيه ها تتحاسبي عليه.

تراجعت أكثر، نبضها يتسارع، ثم قالت بعصبية ظاهرة

- أنا ما عملتش غلط حاجة، أنا بكتب وليا جمهور بيحبني**!**

ضحكت صورتها في المرآة، ضحكةً باردة

- أيوه... وده بالضبط ذنبك. أنت مقدمتيش رسالة،

أنت كتبت عشان عيون القارئ تشوف أجساد، مش عشان تقرأ أفكار

تقدمت ليلى خطوة نحو المرآة وقالت بحدة، ولكن صوتها خرج مرتعش يشوبه الاضطراب

- الكتابة مش لازم تبقى رسالة، إظهار الجمال صنعة.

نظرات الاعجاب في عيون القراء دليل على النجاح

أجابها الصوت الداخلي، هذه المرة بصدى يشبه الريح في فراغ واسع

- الكتابة عن جمال الوجه وفتنة الجسد،

وتزين العلاقات المحرمة... هو قبح متقن الصنعة.

بدأت الأضواء تخفت تدريجيًا، والمرايا على الجدران الأخرى بدأت تعكس وجوهها بملامح مختلفة لشخصيات روايتها لكن بنسخة من ليلى، أكثر فجاجة، أقل احتشام. أعمق جرحاً ووجعًا.

صرخت ليلى

- كفاية... شخصيات روايتي مش نسخة مني!

لكن الأصوات أجابت معًا، كجوقة واحدة من الظلال

- بل كلنا نسخة منك أصدق مما تخفيه، ... كنا أنت، أكثر مما تكونين انت.

في تلك اللحظة، انطفأت كل الأضواء.

وحين عاد التيار بعد دقائق، كانت الغرفة فارغة.

على طاولة الزينة بقيت فقط ورقة بيضاء، فوقها آثار أحمر شفاه باهت، كُتبت عليها بخط متقن غامض القانون الثالث

- من استخدم الكلمات للغواية، غابت صورته عن المرايا



في اليوم التالي، وقف العقيد حاتم عوني في شقتها ومعه يوسف زهران ود. فؤاد الجبالي.

قال بهاء وهو يفحص الورقة

- نفس النمط يا فندم... ورقة جديدة، قانون جديد.

كان يوسف قد اقترب من المرآة الطويلة، كانت تتوهج بضوء خافت، وكأنها تهتز رغم ثباتها، وضع كفه عليها، وأغمض عينه.

شعر بها تتنفس من تحت كفه، فظل ثابتًا لدقيقة أو أكثر، لا يتحرك ولا يجيب، حتى بدا وكأنه يرى ويسمع ما يجري خلف الزجاج.

داخل المراية، ضوء ذهبي خافت يغمر فضاءً بلا جدران، هواء تفوح منه رائحة العطر والورق، وصدى يشبه أنين الكاميرات في صالة توقيع لا تنتهي.

الأرض مرايا سائلة، تعكس وجه ليلى بأشكال لا تحصى، كل وجه منها يبتسم بطريقة مختلفة،

كانت كما يريدها الآخرون أن تكون. تمشي حافية، تلمس سطح المرايا بخفة خائفة، وفي كل خطوة يظهر حولها جمهور من صورها السابقة.

في لقاء تلفزيوني، على غلاف رواية، في إعلان أدبي يتغزل في جرأتها. كل الصور تبتسم... وهي تمشي خائفة ترتعد. يأتي صوت من العدم، رخيم، يشبه نفسا يمر جوار الأذن.

- جميلة حتى في الخوف، يا ليلى. لكن قولي لي... كم مرة كتبت فكرة؟

تجمدت في مكانها، تنظر حولها فلا ترى أحدًا. الضوء يتحرك كأنه يلتف حول جسد شفاف. من بين المرايا يخرج ظلها نسخة منها، لكنه يرتدي فستانا من سائل لزج، يتحرك كشلال ينزف حبرا.

وفي عيني الظل بريق يلمع بين الجمال والعهر.

ليلى بصوت خائف

- أنت مين؟

- أنا الصورة التي عشقتها أكثر من حقيقتك، أنا أنوثتك حين أصبحت حبرا على الورق،

  وقلبك حين باع الكلمة مقابل النظرات.

تقترب ليلى من ظلها، تلمسه فيسري في جسدها دفء يشبه اللذة...

لكنها تتراجع فجأة حين تشعر ببرودة كأنها الموت.

الظل ساخرًا

- ظننت أنك حرة، لكن الحرية التي تتمحور حول الجسد ليست حرية، بل ابتذال

ليلى بتوتر

- أنا كنت صادقة في فني، كنت بعبر عن نفسي !

الظل

- كنت تعبرين عن الجسد وتسمينه فن. الحب يا ليلى يختلف عن الشهوة،

الضوء حولها يزداد كثافة، يصير وهجًا أبيض يكاد يُعمي.

تغلق عينيها فترى خلف الجفون مشاهدها القديمة، لقاءات، جوائز، توقيعات، ضحكات محفوظة للكاميرا.

الظل بصوت يقترب

- من أستخدم الكلمات للغواية، غابت صورته عن المرايا

ليلى بصوت مرتجف

- كنت بكتب عن الحقيقة... على الجمال عن الحب .

- لم تكتبي إلى لغريزة، ولم تصفي جسدا إلا لغواية

الجمال يمكن رؤيته بين السطور، وليس فقط في المرايا

يتقدم الظل نحوها خطوةً بخطوة،
وفي كل خطوة ينطفئ وجه من وجوهها في المرايا.
يبقى وجه واحد، وجهها الحقيقي
مرهق، عار من الزينة، فيه بقايا ندم يلمع كالدمع.
الظل بلطف غريب

- سأسمح لك بالعودة، لو استطعت أن تكتبي نصا واحدًا لا يراك فيه أحد، لكن يشعر بك الجميع...
  نصاً بلا مستحضرات تجميل،
  لا يصف جسدك... بل يلمس روحك. وإلا ستظلين في ضوء لا يطفأ، يتكرر جسدك العاري في كل مرآة، ولن تجدي من يستره

مدت ليلى يدها نحو الظل، لكنه يتبخر في وهج من ضوء ساخن.
تتلاشى كل المرايا، ويبقى صوتها يهمس في الفراغ

- أنا مش مذنبه أنا فنانة

ثم يسود الصمت، وتُطفأ الأنوار ببطء،
ولا يبقى سوى جملة وحيدة معلقة في الهواء

- **الإغواء بلا روح... ينير لحظةً واحدة قبل الظلام.**

قبل أن تعود جدران الحجرة تتشكل ويعود يوسف لأرض الواقع



صمت فؤاد لحظة، ثم قال بمرارة حقيقية

- كانت بتتحاكم عند مرايتها، صح يا يوسف...

هز يوسف رأسه دون أن ينطق بكلمة.

أكمل فؤاد بعصبية وتوتر،

- مش وعي خارجي صح، أكيد ضميرها اللي رجع يحاسبها.

رد يوسف وهو ينظر إلى الآلة الكاتبة التي تومض تحت الضوء بخفوت غريب

- الضمير جزء من الوعي... بس مش دايمًا بيكون ضميرنا.

نظر إليه فؤاد بحدة

- الكلمة ملهاش وعي يا يوسف ...

مفيش مخلوق ليه سلطة علينا عشان ينصب لنا محكمة

ابتسم يوسف بهدوء مقلق وقال

- يمكن تكون مش محكمة زي ما انت متخيل يا دكتور،

ممكن يكون طبيب معاه مشرط الرحمة،

أيوه بيجرح بيه، مش بيعقاب، لأ بيعالج

شعر الجميع بحركة الهواء، وصوت الريح وهي تدور داخل الغرفة،

والورقة البيضاء على الطاولة تهتز وتطير وحدها، ثم تلتصق بالمراية وعليها القانون الثالث.

- من أستخدم الكلمات للغواية، غابت صورته عن المرايا وكأن الكلمات تحب الضوء، والظهور.

لم تعد تكتفي بوجودها على الورق ففرضت نفسها ليرها الجميع



عودة خالد

المكان شقة خالد بالمقطم

الزمان 30 ديسمبر 2024

كانت الشقة ما تزال على حالها منذ أن فوضى الأدلة الجنائية هادئة، باردة، وكل شيء فيها ينطق بالانتظار والكسل؛

كتب مكدسة، آلة كاتبة يعلوها الغبار، وحاسوب مفتوح على صفحة بيضاء لم تُكتب بعد.

وقف العقيد **حاتم عوني** في منتصف الغرفة، يراجع الملاحظات القديمة عن **خالد السعدي**

عن عزلته، وتأجيله الدائم للكتابة، وعن خوفه من أن ينجز ما سيحاسب عليه يومًا ما.

حاتم بنبرة متعبة

- إحنا بنضيع وقت يا بهاء... الموضوع ده مش قتل، ده تبخر. مفيش جثة، مفيش مقاومة، البني آدم ده معندوش اسرار وملوش أعداء، مفيش تأمين للشقة سايب الباب مفتوح؟ ولا حتى كلمة سر على الكمبيوتر. شخصية غريبة جداً.

قلب النقيب بهاء، الأوراق ثم قال

- **نفس ظروف اختفاء مروان! الأغرب يا فندم.**

نفس الآلة الكاتبة، وكأنها هي. بنفس الموديل والاسم البارز، Replace Ment

وورقة موجودة في الآلة الكاتبة وعليها جملة غامضة، واختفاء كامل.

توقف حاتم عن الكلام فجأة. شعر بصقيع غير مبرر يتسلل إلى الغرفة.

الهواء تغير من حولهم، وكأنهم واقفين في الخلاء.

الضوء فوقهما بدا كأنه ينسحب ببطء من الجدران.

وفي مكان ما من الغرفة، ومض ضوء أبيض خاطف متتابع.

كأن كاميرا قديمة تأخذ لقطات متتابعة.

تراجع بهاء خطوة ممسكًا سلاحه، وهو يقول بصوت مكتوم

- **إيه ده؟! في حاجة بتظهر!**

لكن لم يكن انفجارًا ولا خيالًا.

عندما تلاشى الوميض، كان **خالد السعدي** واقفًا بجانب الجدار نفس ملامحه في الصور تقريبا، لكن بشرته شاحبة، مغطاة بطبقة رماد خفيف،

وعيناه تحملان سكونًا من رأى ما لا يُروى.

حاتم بصوت مبحوح

- **مين ده؟... إنت مين؟**

لم يُجب خالد، بل سار بخطوات بطيئة نحو الآلة الكتابة.

نظر إليها كما ينظر المحكوم إلى كرسي الإعدام،

ثم وضع أصابعه المرتجفة فوق المفاتيح المتسخة، جلس وبدأ يكتب بسرعة محمومة.

صوت الأزرار كان كدقات قلب يعود للحياة بعد موات طويل.

بعد لحظة، كان قد انتهى من الكتابة.

رفع رأسه ونظر نحوهما، وصوته متهدج لكنه مليء بيقين غريب.

- **إنتم بوليس؟... للأسف الشرطة ما تقدرش تحاكم العدم. أنا كنت هناك... في سجن من الفراغ الأبيض**

حاتم بحذر

- **عدم إيه؟ كنت فين بالظبط يا خالد؟ ورجعت ازاي؟ مين رجعك؟**

خالد يهز رأسه بهدوء موجع

- **ماحدش رجعني... القلم هو اللي رجعني بعد ما انتهت محاكمتي...**

رفع الورقة التي كتبها للتو، كانت الجملة الأخيرة تقول

- **من كتب أخيرًا... نجا.**

ثم نظر إلى حاتم نظرة قصيرة، وابتسم ابتسامةً منهكة كأنها وديعة أخيرة.

مال بجسده للأمام، فسقط على الآلة الكاتبة دون صوت.

لم يغم عليه تماما، لكنه غرق في نوم يشبه الغياب،

وحين حاول بهاء أن يقترب منه، وضع حاتم يده على كتفه وقال

- استنى يا بهاء... ده مش مريض. ده شاهد... شاهد على حاجة أقدم من الجريمة نفسها.

وعلى الورقة البيضاء في الآلة، طُبعت كلمة واحدة بخط سريع مرتعش

- ابدأ.



كان الغروب يزحف ببطء، ليفسح مكان لليل طويل، زخات المطر تغسل الطرقات.

وفي ركن معزول من مقهى صغير وسط المدينة، كان مشهورًا بجلوس الكتاب والمثقفين فيه

كان خالد يجلس فيه قديمًا ليتظاهر بالكتابة، ويشعر أنه لا يزال ينتمي لهذا الوسط.

دخل رجل نحيل، شعره أشعث، ووجهه هادئ كمن خرج من سجن طويل.

احتاج الجميع لحظة ليتعرفوا عليه، ثم همس أحدهم

- ده خالد... رجع؟!

جلس إلى الطاولة المعتادة، أخرج من جيبه ورقة مطوية بعناية كأنها تذكرة نجاة،

فتحها ببطء، كانت الكتابة بخط متعب، يمتزج فيه الحبر بنقطة دم صغيرة على الحافة.

قرأ بصوت خافت

- **أقسمتُ يا قلمي ويا أوراقي**

سأكونُ حيا كل عمري الباقي

سأظل أكتبُ ما بقتْ أنفاسي

من ينتظرْ وحْيًا يجيءُ لنائم

ما ينتظرهُ حقا إلا موت قاسي

اقترب منه يوسف زهران الذي جاء ربما صدفة إلى نفس المقهى.

استمع إلى الكلمات حتى نهايتها، ثم قال بابتسامة خافتة

- **دي أول مرة تكتب بروحك يا خالد...**

المرة دي الكلمة فاخورة، لأنك كتبتها من غير ما تنتظر إلهام

ابتسم خالد في صمت

ثم نظر إلى آلة كاتبة قديمة كانت في واجهة المقهى للزينة وقال

- الكتابة مبقتش لما يجيلي نفس يا يوسف... هي اللي بقت بتخليني أتنفس.

نهض ببطء، وضع الورقة على الطاولة،

وغادر بخطوات هادئة كمن يعود إلى وطنه بعد منفى طويل.

وحين رفع صاحب المقهى الورقة بعد رحيله،

وجد في أسفلها جملةً بخط صغير لم تكن موجودة من قبل

من كتب أخيرًا... نجا.



بعد الغياب

ينساب المطر على زجاج المقهى، كحبر خفيف فوق صفحة قديمة.

جلس **الدكتور فؤاد الجبالي** في الركن البعيد، أمام فنجان قهوة لم يلمسه منذ ساعة .كان يتأمل البخار الصاعد منه كأنه يقرأ منه ما لا يُقال. حتى لم يعد هناك بخارٌ

جلست أمامه **سُمية طارق**، تمسك قلمًا أسود تديره بين أصابعها بحركة بطيئة، عيناها تتأملان الفراغ الذي يفصل بينهما، لا كمسافة، بل كفكرة، مسافة طويلة لم يقطعها أيا منهم بعد.

قال فؤاد بصوت منخفض متعب

- الموضوع بقى مرعب يا سُمية... مروان، خالد، وبعدين ليلى. كلهم اختفوا بعد ما كتبوا جملة غريبة كأنها قانون أو عهد، ويوسف شايف إن في وعي للكلمة هو اللي بيختارهم...

وأنا مش قادر أستوعب الكلام ده.

أجابته بهدوء رصين، وعيناها ما تزالان تتابعان انحدار المطر على الزجاج.

- يمكن مش وعي اللي بيختار يا دكتور، يمكن ضميرهم صحي أو اتحركت جواهم حاجة بسبب الحوار اللي دار بنا في المؤتمر، بتخليهم محتاجين للعزلة، بيسيبوا مكانهم ووسائل الاتصال ، بكامل رغبتهم.

مال للأمام وقال بنبرة متوترة

- بس كل حاجة بتحصل كأن في قوة بتتحكم فيهم... قوة بتصدر أحكام. وفي قوانين بتطلع لوحدها، من غير حد يكتبها!

ابتسمت ابتسامة صغيرة تحمل حزنًا ناعمًا

- معنديش تفسير، يمكن يكونوا كتبوها بنفسهم.

سكت لحظة، ثم قال وهو يمرر أصابعه في شعره بإرهاق واضح

- يعني إنت شايفة إن اللي بيحصل مش من بره؟ مش وعي غيبي؟

أجابته سُمية بصوت عميق متزن

- أنا شايفة إن أي وعي مش فوق ولا تحت... الوعي جوا الإنسان، بس بيتكلم لما إحنا نسكت.

تأمل فؤاد كلماتها، ثم قال بنبرة فيها دهشة صادقة

- كلامك بيشبه قوانينهم يا سمية... بس في فرق.

ابتسمت وهي تضع القلم على الطاولة

- الفرق إن قوانينهم بتعاقب، لكن القانون اللي أنا مؤمنة بيه... بيعلم.

صمتت لحظة، ثم أضافت بهدوء كأنها تُعلن وصية

- من كتب ليُحاكم، ضل. ومن كتب ليفهم، نجا.

سادت لحظة سكون ثقيل. خارج المقهى، توقف المطر فجأة كأن السماء استمعت إليها أيضًا. نظر إليها فؤاد بإعجاب صامت، كمن اكتشف المعنى الذي كان يبحث عنه بين السطور. أخرج دفتره، وكتب بخطه المتصل بما أعلاه **من كتب ليفهم، نجا**

ثم رفع عينيه إليها وقال مبتسمًا

- أظن العهد سمعك النهارده، يا سُمية.

فأجابته بابتسامة واثقة دافئة

- يمكن العهد اتعلم أخيرًا إنه يسمع الإنسان.

في الخارج، مر يوسف زهران في سيارته أمام المقهى، ورأى من الزجاج د. فؤاد يضحك لأول مرة منذ المؤتمر. لم يعلم أن تلك الضحكة الهادئة كانت الشرارة الأولى التي ستشعل الصراع الأخير بين **العهد والإنسان**.



الغضب

كان **جلال البدري** يكتب كما يصرخ المجروح. كل مقالة له كانت معركة، وكل رواية قنبلة لغوية تنفجر على الورق.

بدأ حياته ناقدًا اجتماعيا، يؤمن بأن الكلمة يجب أن توقظ الضمير، أن تشعل النار في الباطل.

كتب عن الفساد، عن الظلم، عن السكوت المريب، فأحبه الناس لصراحته، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن النار التي يشعلها فيهم، كانت تلتهمه أولًا. كان يرى أن الهدوء خيانة، وأن التسامح ضعف، وأن الكاتب الحقيقي هو من يثير الخوف في القلوب الميتة.

في لقاءاته كان يقول بثقة حادة

- الحق لا يُقال بالهمس، بل بالصراخ

حتى أصبح صراخه هو صوته الوحيد.

أصدقاؤه ابتعدوا واحدًا تلو الآخر، وصار مكتبه ساحة حرب صغيرة، تعلو فيها أوراق مبعثرة، ومقالات نصف مكتوبة تنزف كلمات غاضبة. بمرور الوقت، صار يكتب لا ليغير، بل ليدين. تحول قلمه من وسيلة كشف إلى سلاح هدم، يضرب به الجميع بلا هدف، حتى ذاته.

وفي بيته، كانت الجدران مغطاة بأوراق كتب عليها بيده

- من لم يحترق، لا يضيء.

العالم لا يطهر إلا بالنار.

الغضب... لغة الحقيقة.

وفي تلك الليلة الأخيرة،

جلس أمام حاسوبه يكتب مقالة، لصحيفته الإلكترونية الجديدة، بعنوان **سيحترق كل شيء.**

لكن قبل أن يضغط زر النشر، ارتعش ضوء الشاشة، وكأن الحروف تتكون من شرر حي، ثم ظهرت جملة لم يكتبها هو.

- لقد أحرقت ما يكفي.

سمع صوتا يأتي من خلفة، حيث تقبع الآلة الكاتبة القديمة، كان قد أهداه له صاحب إحدى دور النشر، اقترب منها، كانت بها ورقة بيضاء لم يضعها هو، توقف للحظة، فرأى شرارةً صغيرة تلمع بين الأزرار. ظنها وهماً، لكنها كبرت، حتى صارت لهبًا خفيفًا يكتب وحده، وعلى الورقة طبعت الحروف حرفاً تلو الأخر، لتكتب جملة لم يكتبها هو.

- من استخدم الكلمة لأحرق غيره، نال لهيبها من يده



كنتُ أراقبه منذ اشتعلت الكلمة الأولى في صدره.

في البداية، كنت أُلهمه الغضب ليُطهر به، لكنه استخدمه ليحاكم.

أراد أن ينقذ العالم من الظلم، فصار يظلم كل من لم يشبهه.

كان يظن أنه صوت الحقيقة، ولم يدرك أن الحقيقة لا تصرخ، بل تهمس لمن يصغي فقط. كل مرة كتب فيها من سخطه، انطفأت فكرة في أعماقه. كان يظن أن النار تُنير، لكن النور لا يولد من الحريق. الغضب يا جلال خادم لا يعرف الرحمة، وإن لم تأمره بالسكوت، التهمك أنت أولًا. لذلك تركت النار تُكمل مهمتها، لا لتحرق، بل لتُطهر. لم أطفئها، لم أكن أريد إطفاءه، كنت فقط أراقب متى تتحول النار من شعلة تنير الطريق، إلى كلمة تشعل الحريق.

من وسيلة لتطويع الحديد، إلى غاية يحرق بها من يريد.

تركته يحترق، لأن اللهب وحده يعلم الفرق بين الضوء والاحتراق.

الغضب سيف ذو حدين، من يلوح به طويلا، يقطع يده أولًا.

لذلك حين امتد صراخه إلى كل شيء، جعلت النار تنال منه، كما نالت من غير. لم أُعاقبه

سلبت منه النار الذي ظنها من حقه وحده،

لأكتب بها القانون الرابع

- من استخدم الكلمة لأحرق غيره، نال لهيبها من يده



في الصباح، وجدت زوجته باب الغرفة مغلقًا. نادته فلم يُجب، دخلت فوجدت الحاسوب مشتعلًا بضوء أحمر ثابت، وشاشته تعرض جملة واحدة بخط متوهج

- **سيحترق كل شيء.**

لم يكن هناك دخان، ولا رائحة احتراق، فقط رماد خفيف على المقعد، يتشكل في هيئة يد ممدودة فوق المكتب بجوار نحو الآلة الكاتبة. في التحقيق لاحقًا، لم يجدوا أثرًا لجلال، ولا لأي ملف من مقالاته على الحاسوب. لكن في البريد الإلكتروني لصحيفته، وصلت رسالة من حسابه بعد اختفائه بدقائق، تحمل عنوانًا واحدًا **صوت من قلب الغضب** ونصها الوحيد

- لقد كنت أكتب النار... حتى احترقت يدي



نار بلا رماد

كانت شقة **جلال البدري** في الطابق التاسع من عمارة تطل على النيل.

حين وصل فريق التحقيق،

كان الهواء مشبعًا برائحة غريبة تشبه الحديد الساخن.

فتح النقيب **بهاء** الباب بهدوء وهو يمسك الكشاف،

ودخل يتبعه العقيد حاتم والدكتور فؤاد،

فيما بقي يوسف واقفًا على العتبة كأنه يعرف ما سيجدونه قبل أن يروه. داخل الشقة كان كل شيء منظمًا بدقة،

باستثناء مكتب في الزاوية تتراكم عليه أوراق محروقة الأطراف،

وجهاز حاسوب مفتوح على شاشة حمراء يتوسطها سطر واحد

من استخدم الكلمة لأحرق غيره، نال لهيبها من يده

وقف العقيد أمام الشاشة، ثم التفت إلى يوسف قائلًا

- العبارة دي ظهرت قبل كده في التحقيق السابق.

أجابه يوسف دون أن يرفع نظره

- لاء لأن النص لا يتكرر... بل يستكمل نفسه.

بدأ د. فؤاد يتفحص الغرفة بتركيز علمي، كتب مبعثرة عن الثورة والفكر والحرية، جدران علقت عليها أوراق تحمل شعارات مثل

من لم يحترق، لا يضيء.

قال فؤاد وهو يدون في مفكرته

- جلال يعاني من متلازمة التنوير العدواني...

يبرر الغضب باعتباره وسيلة خلاص.

لكنه هنا تجاوز التبرير إلى تمجيد النار ذاتها.

قال بهاء وهو يتفحص المكان بعينه

- يعني حضرتك شايف إن ده انتحار رمزي؟

فؤاد

- ممكن، أو نوع من الهوس اللغوي بالاحتراق.

النصوص على الجدران بتكرار مهووس لعبارة واحدة.

كأن الكلمة أصبحت كيانا يطالبه أن يذوب فيها.

اقترب يوسف ببطء من الحائط ولمس الأوراق بأصابعه، وهمس

- المحاكمة تتم في الداخل

التفت إليه العقيد بعصبية متزايدة

- كفاية الألغاز ده يا يوسف، أنا عايز أجوبة.

الناس دي بتختفي إزاي؟ بتروح فين؟!

رد يوسف بهدوء مفزع دون أن يرفع يده

- لما تنتهي محاكمته ويرجع هنسأله يمكن نفهم.

ضرب العقيد الطاولة بقبضته.

- أنا راجل شرطة مش فيلسوف، عندي تلاتة اختفوا وده الرابع والناس مرعوبة، واللي بتقوله ده مش هيكتبلي محضر.

على سبورة بيضاء خلف العقيد كانت كلمات تتشكل بالون الأحمر تظهر من العدم.

- النص لا يخطئ... من يخطئ هو الكاتب

- ومن يحكم على النص، حاكمه النص

تجمد يوسف في مكانه. نظر حوله، فلم ير أحدًا.

السبورة تغير لونها تدريجيًا، وصارت كأنها مرآة مظلمة، تعكس ظل واحد فقط. اقترب يوسف ببطء،

حتى أصبح الظل الذي يراه هو جلال البدري نفسه.

بدأت الكلمات على السبورة تختفي؛ قبل أن يختفي كل شيء،

تبددت كل الأصوات، وساد صمت أثقل من الخوف...

انطفأت الأنوار ثم لم يكن ظلام، كان الفضاء أحمر داكنًا، كجمرة تنبض تحت رماد كثيف. الهواء مشبع برائحة الحديد والعرق والدخان، وصدى صرخات بعيدة يتردد في أرجاء لا جدران لها.

وقف جلال وسط هذا الجحيم الهادئ، يبحث بعينيه عن باب، أو صوت، أو كلمة تنقذه من الاحتراق.

فجأة دوى صوته هو نفسه من العدم

- أتيت أخيرًا، يا من ظن أن الكلام نار.

قال جلال بصوت مرتجف

- مين؟! إنت مين؟!

أجابه الظل

- أنا الكلمات التي كتبتها طوال عمرك.

التفت جلال، فرأى ظلا من لهب يأخذ شكل جسده، لكن وجهه كان كتلة من ضوء ساكن يبتسم بغضب لا ينطفئ.

- إنت مين؟!

الظل

- أنا أنت... بعد أن أحرقت المعنى لتغذي غضبك.

اقترب منه اللهب حتى صارت المسافة بينهما نفسا واحدا.

- يوم كتبت نقد، همسه يسمع الأصم، كنت تكتب لتوقظ العالم،

- فتحدث عن حسن همسك، النقاد أنفسهم، كانت كلماتك نور. لكنك صرت تصرخ، لأنك خفت أن ينتهي حديثهم عنك.

- أصبحت كلماتك تحرق الجميع، لا تميز بين خبيث والطيب

جلال

- كنت بدافع عن الحقيقة!

الظل

- بل كنت تدافع عن صوتك.

فالحقيقة لا تحتاج إلى نيران تحرسها،

هي تضيء لمن يبحث، لا لمن يهاجم.

بدأت الأرض تحت قدميه تتشقق، وانبثقت من الشقوق كلماتُه القديمة متفحمة، كل عنوان اشتعل من جديد كاتهام يصرخ فيه.

أكمل ظله بصوت كالرعد

- أنت كسرت القانون يا جلال.

- من جعل الغضب وسيلته، كان الحريق هو الغاية

جلال بهمس منكسر

- أنا كنت باحاول أصلح... كنت عايز أغير!

الظل

- الإصلاح لا يولد من الحريق، بل من الرماد حين يهدأ.

أنت لم تغير شيئا سوى لون جدرانك من حبر إلى دم.

صمت **جلال**، ثم قال بصوت واهن

- اديني فرصة... أكتب من غير نار.

تصاعدت ألسنة اللهب حولهما كدوائر، يقترب الظل منه ويهمس

- اتفقنا... سأسمح لك بالعودة. لو كتبت جملة واحدة لا تدين أحدًا، كلمة تغفر بدل أن تلعن، كلمة تنير بلا لهب...

حينها سنعود كلانا.

جلال

- ولو فشلت؟

الظل

- ستبقى هنا، تكتب إلى الأبد على جدران الرماد، وحبرك نار لا تُطفأ. وكل مقال جديد سيكون لعنات تتساقط عليك وحدك.

اقترب اللهب حتى ذاب وجه الظل في وجهه.

الظل همسًا لو خرجت، فاكتب كما لو أن النار داخلك لا ضدك.

ثم اختفى الضوء.

وبقي جلال يسمع صوته القديم يتردد في الفراغ

- الحق لا يُقال بالصراخ، بل بالسكينة التي تُوجع أكثر.

- **من حاكم النص، حُكم به.**



جلس فؤاد على مقعد قريب وهو يتنفس ببطء، كأنه يحاول استيعاب كل ما حدث منذ بداية السلسلة. ثم قال فجأة

- سيادة العقيد، أنا بدأت ألاحظ حاجة... كل القوانين دي تتحدث بنفس المنطق، وبصيغة الوعي المستقل... وكأن هناك من يستخدمهم لنشر أفكاره، قونينه الجديدة

نظر يوسف نحوه وقال بابتسامة غامضة

- مش جديدة، دي قديمة جدًا... الوعي موجود قبل اللغة.

رفع فؤاد رأسه وقال ساخرًا

- وعي إيه؟ أنت تتكلم عن أسطورة يا يوسف، مش عن جريمة.

اقترب يوسف خطوة وقال بنبرة شبه هامسة

- مين اللي قال إن الأسطورة مش جريمة بدأت بكلمة

ساد الصمت لثوان،

ثم انطفأت مصابيح الشقة فجأة، وبقي ضوء الحاسوب الأحمر يضيء وجوههم. في ذلك الضوء، لاحظ النقيب بهاء شيئًا غريبًا على المرآة المقابلة للمكتب انعكس أربعة ظلال... لكن أحدها لم يكن لهم.

قال بصوت مبحوح وهو يشير تجاهه

- سيادة العقيد... في ظل خامس.

التفت الجميع. الظل كان يتحرك ببطء على الجدار، وكأنه يسحب ثم بدأ ينساب نحو الأرض ويختفي كدخان بارد.

يوسف تمتم بهدوء كأنه يقرأ جملةً يعرفها مسبقًا



عودة ليلى

عادت ليلى بعد اختفاء أسبوعين، لكنها لم تعد كما عرفها أحد.

عثرت عليها الشرطة في شقة ضيقة وسط المدينة، أثناء مداهمة لشبكة تتاجر بالأجساد.

كانت جالسة على الأرض، عيناها غائرتان، مكياجها ممسوح، وملابسها ممزقة وبالية، كأنها لم تعد تخصها.

حين سئلت عن اسمها، ترددت لحظة،

ثم قالت بأنف مرفوع وصوت متكسر

- أنا الكاتبة... ليلى الجندي.

لم يسجل الضابط الجملة، فقد ظنها تهذي. في التحقيق، لم تدافع عن نفسها.

كلما سألها أحد عن دورها في الشبكة، كانت تبتسم ابتسامةً مشروخة وتهمس

- كنت بكتب عنهم

الصحف كتبت عنها في اليوم التالي بعنوان مثير

- **روائية الفضائح تقع في فضيحتها الأخيرة**

لم يكتب أحد كلمة تعاطف، ولا حاول أحد أن يفهم ما وراء الصورة.

حتى الذين قرؤا لها يوم، قالوا إن ما حدث كان نهاية منطقية.
امرأة كتبت عن الغواية، ثم سقطت فيها.
حين خرجت من القسم بعد أيام من الصمت، كانت تمشي بين الناس مرفوعة الرأس،
لكن في عينيها لمعة من يعرف أن الخلاص لم يكتب له.
وفي يدها ورقة مهترئة
صفحة من روايتها الأخيرة التي لم تكتمل، كتبت فيها بفخر
لقد نظرت كثيرا في عيني قبل أن أكتب عن الجمال، حتى نسيت من منا كان يكتب عن الآخر.
لم يكن فيها ندم، ولا طلب غفران. كانت فقط امرأة أدركت متأخرةً
أن الحبر الذي كتبت به كان من دمها، والورق كان جلدها.
حتى أصبحت لا ترى إلى كساقطة، كإحدى شخصيات روايتها



كانت قاعة المحكمة مزدحمةً على غير العادة. القضية أثارت فضول الوسط الأدبي كله

الروائية التي كتبت عن الرغبة بلا قيود، تحاكم الآن بتهمة أخلاقية علنية.

جلست ليلى في القفص الزجاجي، وجهها شاحب، لكن فيه بقايا كبرياء يرفض الإنطفاء.

لم تنظر إلى الحضور، بل ظلت تحدق في يديها المكبلتين، كأنها تتأمل القلم الذي كان.

دخل يوسف زهران بصفته شاهدًا من اتحاد الكتاب،

ليدلي بشهادته في مسألة. **مسؤولية الكاتب عن أثر كتاباته**.

حين رآها، لم يبدُ عليه الغضب، بل شيء يشبه الحزن النبيل.

اقترب من الميكروفون وقال بصوت ثابت كما في الندوة الأولى

- هناك خطايا تُغفر لأنها جهل، لكن هذه لم تكن كذلك. ليلى لم تكتب من جهل،

بل من معرفة ملوثة بالرغبة.

نظرت إليه، عينان واسعتان بلون الرماد، وقالت بصوت مبحوح

- كنت بتقول يا يوسف إن للكلمة وعي خاص ...
تعرف منين إن اللي كنت بكتبه صوتي أنا؟ ليه ما يكونش صوته هو؟

تنهد يوسف، ثم أجابها بهدوء قاتل

- الكلمة يا ليلى نور، يمنح لمن احترم القيمة، وأنت جعلتي الجسد سلعة،
فباتت كلماتك قبر، دفنت فيه أفكار ومعني.
حين تستخدمي الكلمة للكتابة عن الجسد، ليست مشكلة
لكن حين تبيعين الكلمة كجسد عاري لمن يشتهي،
تسقطين عنها حقها في أن تسمى كتابة.

ساد الصمت، حتى القاضي نفسه توقف عن تقليب الأوراق.

اقترب يوسف خطوةً من الزجاج، وأضاف بصوت منخفض لا يسمعه إلا هي

- عقوبتك ليست السجن، بل المنع.
لأنك خنت العهد. عهد أن تبقى الكلمة نقية، حتى حين تكتب عن الدنس.

أخفضت ليلى رأسها، وكأن الجملة كانت حكمًا سماويًا لا أرضيًا.

وفي اليوم التالي، صدر القرار الرسمي

- يمنع نشر أو إعادة نشر أي من أعمال الكاتبة ليلى الجندي،

كما تحظر من مزاولة أي نشاط أدبي أو إعلامي تحت أي اسم.

خرجت من القاعة وسط عدسات الصحافة، لم تتحدث، لم تبك.

كانت تسير بخطوات ثابتة كمن يتقبل طرده من معبد عرف أنه لوثه بيده.

وفي الخارج، مر يوسف بجوارها دون أن يلتفت.

حين وصلت إلى أول شارع فارغ، فتحت حقيبتها وألقت فيها قلما، كان قد أنكسر بين اصابعها، آخر ما تبقى من مجدها القديم.

ثم مشت... بلا كلمة، بلا عنوان، كأنها تعود إلى الصمت الذي أنكرته طويلًا.



الشراهة

كانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً.

في مكتب واسع يطل على كورنيش الإسكندرية،

كان **عزت السيوفي** يعيش بين الكتب أكثر مما يعيش بين الناس.

يعرف في الوسط الأكاديمي **بأنه ذاكرة تمشي على قدمين،**

يحفظ المراجع والتواريخ والاقتباسات كما يحفظ الناس أسماءهم.

كانت مكتبته كائنا يتنفس، رفوفا منحنية تحت ثقل المجموعات،

موسوعات أدبية مكدسة حوله في حلقات لا تنتهي، كأنها تحاصره بالمعرفة التي عشقها. يقتبس من الجميع، ولا يكتب بنفسه شيء.

مكتبه أشبه بمعبد للمعرفة، وكان يقرأ بشراهة من لا يريد أن يفهم،

بل أن يملأ فراغًا داخليًا لا قرار له.

في المحاضرات، كان يُدهش طلابه بثقافته، لكنهم حين يسألونه عن رأيه الشخصي، يقول دون تفكير.

- الفكر ليس رأيًا، بل تراكُم معرفي.

وحين يسأله أحدهم ماذا يكتب، يبتسم ويقول

- أكتب عن كل شيء، حين أقرأ كل شيء.

كان يقرأ في كل شيء فعلًا، بشغف لا يروى، ينتقل من الفلسفة إلى التاريخ، ومن الأسطورة إلى العلم، كل معلومة جديدة كانت تشبع لحظة، ثم تفتح داخله جوعًا أعنف. كلما قرأ أكثر، ازداد عطشه، حتى صار كمن يشرب ماء البحر فيموت عطشا لا ارتواء.

على الجدران لوحات لجوائز أدبية وبوسترات لأغلفة رواياته المترجمة، كلها تحمل اسمه بخط عريض أكثر من عنوان العمل نفسه.

مؤخرا كان منشغلاً بعض الوقت، بقضايا اختفاء زملائه الكتاب، لاسيما وإنهم كانوا معه في المؤتمر، الذي بدأت منه كل شيء، تنهد قائلاً لنفسه

- مافيش وعي ولا عهد... في شغل وأرقم مبيعات وبس.

ثم فتح ملفا جديدًا على الحاسوب وكتب في أعلاه بخط كبير رواية جديدة بعنوان

- من يبيع النور

لكن قبل أن يكتب سطرًا آخر، سمع صوت طقطقة خافتة من خلفه.

التفت ببطء، فرأى **الآلة الكاتبة القديمة** التي يحتفظ بها منذ زمن

بعيد، تهتز وحدها. وبها ورقة بيضاء طبع عليها عدة حروف!

تقدم نحوها وهو يهمس

- إيه الهزار ده؟

لكن المفاتيح كانت تتحرك ببطء شديد، كأن يدًا خفية تضغطها بعناية

خرجت الورقة من فم الآلة وعليها جملة واحدة بخط غليظ

من أراد أن يملك كل المعاني، نزع منه المعنى كله.

تجمد في مكانه، ثم ضحك ضحكةً عصبية

- كويس... الوعي بقي يكتب شعارات كمان**!**



كنت أراقبه وهو يلتهم الكتب كما تلتهم النار الحطب.

كل معلومة جديدة كانت تزيد جوعه، وكل فكرة يقرأها كانت تفتح فيه فجوة أوسع. الشراهة يا عزت ليس في جوع الجسد، بل في جوع العقل، حين يبتلع ما لا يستطيع هضمه.

المعرفة نور، لكن من يحاول ابتلاعها كلها يصاب بالتخمة الفكرية، لن يستطيع هضم ما بلعه. أردتُ له أن يتوقف، أن يدع للمعرفة مجال أن تسكنه، لكنه كان يظن أن القيمة تقاس بعدد الصفحات لا بعمقها. فأصبح كلما حاول الحديث، يتساقط منه اقتباسات لم تُهضم.

في النهاية، لم أعاقبه،

بل أعدته إلى بساطة البداية، حيث لا فكر ولا مراجع، وكأنه صفحة بيضاء يكتب عليها القانون الخامس

- من أراد أن يملك كل المعاني، نزع منه المعنى كله.



في صباح اليوم التالي،

دخل أحد طلابه مكتبه فوجد الكتب مبعثرة على الأرض، كأن ريحا مرت في المكان. لكن ما لفت نظره أن رفوف المكتبة كانت شبه فارغة، كأنها فرغت فجأة من محتواها جميع الكتب على الأرض. وعلى المكتب، وجدت ورقة واحدة، خرجت من الآلة الكاتبة. بيد ملوسة بالحبر

- من أراد أن يملك كل المعاني، نزع منه المعنى كله.

وفي زاوية الغرفة، حيث توجد الآلة الكاتبة كانت هناك بقعة من سائل لزج وكأنه الدم، كانت بقعة الحبر تتمدد ببطء على الأرض، كأنها تتنفس.

لم يُعثر على عزت.

لكن الحارس الذي أغلق المكتب لاحقًا قال إنه شم رائحةً غريبة في المكان... رائحة حبر قديم ساخن، كأن الكتب كانت قد طبعت للتو.



جوع المعرفة

كان المكتب الذي تركه عزت السيوفي بعد اختفائه يشبه معبدًا صغيرًا للكتب قض أهدم فوق أصحابه.

رفوف تمتد من الأرض حتى السقف، تحتها أكوام من الكتب والأوراق، وأقلام جافة، ورائحة ورق قديم تختلط برائحة الغبار.

دخل العقيد حاتم عوني أولًا، يرافقه يوسف زهران والدكتور فؤاد والنقيب بهاء. توقفوا عند الباب للحظة من الذهول. بهاء

- يا ساتر... ده قاري الدنيا كلها.

العقيد حاتم

- مش قراية دي هوس. الراجل ده كان بيقرأ كأنه بيبحث عن دليل ضد الوجود نفسه.

اقترب فؤاد من المكتب، رفع دفتر ملاحظات كبير،

فتحت صفحاته تلقائيًا على سطور مكتوبة بخط دقيق متداخل

- اقرأ حتى تذوب... من لم يقرأ الكلمة الأولى، سيظل يقرأ نُسخها إلى الأبد.

- من لم يهضم ما يأكل مات مسموما ومن لم يفهم ما يقرا مات موهما.

فؤاد بصوت خافت

- دي مش جمل عادية... فيها بنية لغوية دائرية، كأنها تتكرر بلا نهاية.

العقيد حاتم

- يعني شفرة؟

- أقرب إلى نص طفيلي... يكتب نفسه داخل نصوص أخرى.

ضحك بهاء متوترًا

- نص بيكتب نفسه؟ حضرتك بتهزر؟

لكن فؤاد لم يضحك، كان ينظر حوله بانبهار غريب، عينيه تتحركان بسرعة بين الرفوف. قال فجأة

- هو كان على بيدور عن الكمال، كان عاوز يفهم كل حاجة، لكن الجوع قضى عليه.

التفت العقيد نحوه بحدة

- جوع إيه؟

أجابه فؤاد بصوت متغير

- جوع المعنى. جوع المعرفة.

كان بيحاول يبتلع المعارف كلها دفعة واحدة.

جلس فؤاد أمام المكتب، بدأ يقلب الكتب واحدًا تلو الآخر كأنه يبحث عن شيء محدد. كانت عيناه تلمعان بجوع جديد، وصوته يتهدج وهو يتمتم

- الكلمة الأصلية... لا بد أنها هنا... النص الأول...

اقترب منه العقيد حاتم بحذر

- يا دكتور، إهدى. إحنا بنجمع أدلة، مش بندور على وحي.

لكن فؤاد لم يسمع، كان يقلب الصفحات بسرعة جنونية، حتى توقف عند كتاب له غلاف رمادي عليه عنوان باهت العهد الأول.

فتحه، فوجد بداخله عشرات الأوراق البيضاء...

ما عدا الصفحة الأخيرة التي كتب عليها بخط مرتعش

- من لم يقرأ حتى النهاية، سجن داخل النص.

تجمد فؤاد للحظة، ثم أغلق الكتاب بعنف، لكن أصابعه بقيت ترتجف، ونبض عروقه بدا كأنه يرتعش من الداخل.

ضوء المكتب خفت فجأة حد الظلام،

بعُدت الأصوات من حوله حتى ساد الصمت،

بصيص من ضوء خافت بدأ يغمر الفراغ، ما لبس أن تحول إلى بياض ناصع تمامًا. سماؤه كصفحة لم يمسها حبرا. كان عزت يجلس على أرض من ورق ممزق، عليه سطور مميزة باللون الأصفر. حوله مكتبة لا نهاية لها، رفوف تسبح في العدم، وكتب مفتوحة على صفحات تتقلب وحدها بلا ريح. جلس عزت فمه يتمتم كمن يلوك الكلمات حرفا حرفا.

هناك في البعيد، ظهر وجه مسخ بلا عيون.

أقترب من عزت وصرخ، فاهتزت الأوراق من حوله كأن الهواء انفجر للحظة، ثم سكن كل شيء.

صوت جماعي أجش خرج من كل الكتاب حوله

- امتلأت بي حتى لم تعد تتحدث، إلا بترديد سطوري

رفع عزت رأسه فرأى مسخ مكون من نصوص كثيرة، وجهه وصدره، مملوء بالاقتباسات الناقصة والهوامش.

عزت بصوت متقطع

- أنا كنت بحاول أفهم... كنت بدور على المعنى

أجابه نفس الصوت

- لكنك ابتلعت المعنى دون أن تتذوقها.

نقلتها قبل أن تُصغي لها.

تقدم المسخ بخطوات ثقيلة، كل خطوة منه تسقط كتابا من الرفوف،

يتحطم كإناء من فخار. تتطاير منه حروفا كحشرات مضيئة، ما تلبس حتى ينطفئ نورها، وتقع حروفٍ تزحف على أرض، حيث يجلس عزت،

عزت بخوف

- أنا كنت بذاكر... كنت بحاول أعرف أكتر عن كل حاجة**!**

المسخ

- لكنك لم تكن تعرف نفسك**.** قرأت حتى غاب صوتك، وصرت تردد ما كتبه الآخرون كأنك صداهم**.**

بدأت الحروف تتسلق جسده، كحشرات زاحفة، تغطي وجهه حتى لم يعد يرى شيئًا.

صرخ عزت

- خلاص... كفاية، مش قادر استحمل.

انفتح أحد الكتب العملاقة أمامه كبوابة أشار إليها **المسخ بهدوء وقال**

- سأسمح لك بالعودة، لو كتبت فكرة واحدة من نفسك، من وعيك لا من ذاكرة الآخرين، جملة لا تقتبس من أحد...

عزت

- و لو فشلت؟

- ستبقى هنا، تقرأ وتقرأ، حتى تمتلئ ،

وسأكون أنا المكتبة التي تحتويك إلى الأبد.

زحف المسخ من حوله، ثم همس من بعيد

- المعرفة التي لا تهضمها... تلتهمك.

ثم انطوى المكان كله، كصفحة أُغلقت بعد قراءة أخيرة.



في الخارج، كان يوسف يقف عند النافذة يراقب انعكاس الضوء على الزجاج. قال بهدوء دون أن يلتفت

- بدأ الجوع فيمن يقرأ عن الجائعين.

نظر إليه العقيد حاتم بحدة واضحة

- يوسف، لو عندك كلام مفهوم قوله دلوقتي.

أنا شايف دكتور فؤاد بيتصرف كأنه واحد من الكُتاب دول.

يوسف

- الوعي مش بيختار ضحاياه، هو بس بيجي لما حد يفتح له الباب.

العقيد

- يعني بتقول إن اللي بيحصل ده عدوى فكرية!

يوسف

- لا استدعاء... النص مرتبط بوعي بيتم استدعائه لو توافرت الظروف كاملة

رن هاتف بهاء في تلك اللحظة، بنغمة قصيرة.

نظر إلى الشاشة وقال بارتباك

سيادة العقيد... الرسالة دي جات دلوقتي من رقم مجهول.

اقترب العقيد وقرأ الرسالة بصوت مرتجف قليلا

لا تبحثوا عن الكاتب... ابحثوا عن الصفحة التي لم تكتب بعد.



أطفأ العقيد الهاتف ووضعه على المكتب.

وفي اللحظة نفسها، بدأت شاشة الكمبيوتر في الزاوية تومض وحدها. ظهرت صفحة فارغة، ثم أخذت الحروف تتكون ببطء كما لو أن أحدًا يكتب من داخل الشاشة

القانون الخامس

- من أراد أن يملك كل المعاني، نزع منه المعنى كله.

تراجع شادي خطوة إلى الوراء وهو يتمتم

- دي نفس صيغة القوانين بالضبط زي القضايا اللي فاتت.

أما فؤاد فاقترب من الشاشة، عيناه شبه زجاجيتين، مد يده ولمس الزجاج بأطراف أصابعه.

في اللحظة نفسها، انطبعت على ظهر كفه كلمة من ضوء خافت **اقرأ.**

العقيد خطا نحوه بسرعة وهو يصيح

- فؤاد! سيب الشاشة فورًا!

لكن فؤاد التفت إليه ببطء وقال بابتسامة مرعبة

- بدأت أفهم يا حاتم... الوعي مش بيكتب... في حد بيستخدمنا لما نحتاج ليه بشكل كافي.



الإنكار

د. فؤاد الجبالي، ذلك الطبيب العقلاني، الذي يرفض الاعتراف بالوعي الخارجي، يرفض الإيمان بأي شيء لا يمكن إخضاعه للمنهج العلمي، مما يمنعه من رؤية الحقيقة الأعمق.

يرفض الإيمان إلا بالدليل، سُجن في سجنه الذي صنعه بنفسه. لم يكن المكان ظلامًا ولا فراغًا ورقيًا، بل كان بياضًا ناصعًا، مشبعًا بضوء أبيض بارد. لا يوجد جدران، لكن هناك إحساسًا خانقًا بالاحتواء. الأرضية والأسقف مغطاة بأرقام ومعادلات رياضية وخرائط تشريحية لجسد الأنسان وصور مقطعية للمخ البشري مطبوعة بدقة عالية جداً كأنها نقشت بالليزر.

د. فؤاد يقف مرتدياً بدلته، لكنها تبدو رمادية باهتة وسط هذا البياض المتوهج. هو يحاول التنفس، لكن الهواء له رائحة المطهرات الكيميائية والمنطق المجرد.

يهمس لنفسه، يحاول أن يجد تفسيراً علمياً

- مجرد هلوسة بصرية ناتجة عن إجهاد عصبي.

اضطراب مؤقت في النواقل العصبية نتيجة التعرض

لضغط نفسي شديد. أنا في وعيي... يجب أن أجد نقطة انطلاق منطقية.

حاول أن يمد يده، فاصطدم بـ جدار غير مرئي يصدر صوت طنين خفيف. نظر إلى كفه، حيث كان الضوء قد انطبع عليه، فوجد أن الكلمة اقرأ لم تعد هناك، بل استُبدلت بمخطط معقد يوضح بنية الحمض النووي تدور حول نفسها ببطء

- هذا مستحيل! لا يوجد مصدر ضوئي أو جهاز عرض! هذا ليس وعيًا، هذا هراء!

من بين الأرقام، بدأ يتشكل، كان يرتدي معطف الطبيب؛ لم يكن دما ولحما، بل كيانا مضيئا وباردا،

يطفو في الهواء. يحيط به هالة من الضوء الأخضر التي تومض كشاشات مراقبة صغيرة لأجهزة طبية.

بصوت آلي، بارد، كأنه يقرأ تقريرًا طبياً

- أنت ترفض الوعي، ترفض أن تعترف بوجود ما لا يمكن تشريحه أو إخضاعه لـ التجربة والقياس.

فؤاد يصيح بعصبية

- أنا أؤمن بالدليل! أين الدليل على هذا الوعي الذي تتحدث عنه؟ أين الآلية؟ أين معادلة الوجود التي تدعم ادعاءاتك؟!"

يومض الضوء الأخضر ببطء

- الدليل ليس في رؤيتك له، بل في رؤية أثره، وفشلك في تعطيله. الكلمة ليست ظاهرة تدرسها، بل حياة تعيشها.

فؤاد يهز رأسه

- الكلمة ناتج إبداع العقل الإنساني، تطور اللغة ناتج من نقل المعارف والتجارب. الكلمة ليست كيانا، بل وسيلة تعبير!

- أنا من صنع هذا السجن لأثبت خطأكم!

يتحرك الكيانا المضيئ

- صحيح. أنت من صنع هذا السجن. هذا هو سجنك الخاص الذي تسميه المنهج العلمي. أنت تحاول أن تضع الوجود كله في معادلة، وتحاول أن تضع روح الكلمة في اختبار. لكن الكلمة... مُعطى، يا فؤاد. هي ليست نظرية

بدأت الأرقام على الأرض والجدران تتسلق جسد فؤاد، تتشكل في سلاسل من المعادلات المعقدة التي تشد عليه، وتضيق عليه الخناق. يشعر ببرودة الأرقام وهي تحبسه.

الكيان

- ما دمت ترفض أن ترفع رأسك لترى الحقيقة الكلية، ستبقى سجيناً. ستظل هنا، تحصي الأرقام والمعادلات،

تحاول أن تجد سبباً منطقياً لاختفاء الكُتاب. لكنك لن تجد سوى قياسات وأرقم.

فؤاد يصرخ وهو يحاول تمزيق الأرقام

- سأخرج! سأخرج وأثبت أن هذا ليس إلا اضطراب نفسي جماعي! لا يمكن للكلمة أن تحاكمني!

الكيان يرتفع ضوؤه

- سأتركك.

سأتركك لتنتهي من كتابة دليلك المضاد لوعي الكلمة. لو استطعت أن تضع قانونًا واحدا موازيا لقوانيني، يثبت أن الروح لا تملك سلطة على العقل، وأن الكلمة مجرد ناتج مادي، سنحررك.

فؤاد بصوت مجهد

- أنا... سأكتب... القانون...

في تلك اللحظة، شعر فؤاد بنبض مفاجئ في كفه، وارتفع ضوء أزرق خافت من المخطط الوراثي على يده. الضوء يتمدد، يتلاشى، لتظهر تحتها حروف من حبر أزرق لامع،

- لا وجود لشيء، إلا إذا أثبته العلم.

ساد الصمت الأبيض. بدأت الأرقام المحيطة به تتلاشى ببطء،

ويحل محلها جدران المكتب.

يخرج من الكيان آخر همسة

- إن كتبت قانونك يا فؤاد. فعليك أن تثبت صحته... أو تعيش في صمته.

بدأ فؤاد يشعر ببرودة المكتب من جديد، وصوت حاتم يناديه من بعيد.

يفتح عينيه ببطء، ليجد نفسه لا يزال أمام الشاشة المطفأة، في حالة صمت تام، لكنه يحمل معرفة لم تكن موجودة منذ لحظات



الإفاقة

كان الضوء الأحمر المنبعث من شاشة الحاسوب يصبغ وجوههم بظل من التوتر. صمت الدكتور فؤاد استمر لدقائق كانت أثقل من ساعات، وهو واقف أمام الشاشة المطفأة كتمثال شمعي.

العقيد حاتم بصوت يختلط فيه الغضب بالخوف

- أنا مش هسيبه كده يا يوسف! الدقايق دي جريمة، لازم نطلب الإسعاف... حالاً.

يوسف هادئاً كالعادة، يراقب فؤاد

- الإسعاف مش هيفيدنا بحاجة، هو مش تعبان، مفيش مرض، هو بيشوف الدليل. هيرجع دلوقتي... بس نظرته للعالم هتتغير.

بهاء يتردد وهو يشير إلى كف فؤاد

- سيادة العقيد، شوف...

اختفى الأثر الضوئي على كف فؤاد بالفعل، لكن في اللحظة التي قال فيها بهاء ذلك، انطبعت على ظهر يده ببطء شبه حبر بارد ثلاث كلمات:

- أكتب قانونك الآن.

انتفض فؤاد فجأة، ليس كمن يستيقظ، بل كمن عادت له الحياة.

سحب يده عن الشاشة، واستدار نحوهم ببطء. كان وجهه خالياً من أي انفعال، لا خوف، ولا عصبية سابقة، فقط شفافية باردة كالزجاج.

حاتم بصوت خافت

- فؤاد، أنت بخير؟

صوته خرج عميقاً، متزنًا، خالياً من العاطفة، وكأنه يقرأ من تقرير علمي

- أنا بخير. في أحسن حال

نظر إلى حاتم، ثم إلى يوسف، كأنه يزن كل واحد منهما في معادلة. قبل أن يواصل التحليل كأن شيء لم يكن

- كل اختفاء من الخمسة. ساب وراه قانون.

والتزامن الأخير يثبت أننا أمام نظام تشغيل متكامل، غير إنساني.

حاتم مندهشاً من الهدوء المريب

- أنت بتقول إيه ؟ دلوقتي بقيت تتكلم زي يوسف؟

فؤاد يهز رأسه بنفي بطيء

- يوسف كان شايف الوعي أسطورة، وأنا شايفه دلوقتي برنامج.

برنامج شغال بكفاءة. مفيش ضمير بيحاسب، قانون لغوي بيصحح أي انحراف عن القيمة الأصلية للكلمة.

يوسف ابتسامة رضا غامضة

- دلوقتي بس فهمت يا دكتور. كده أنت بقيت دليل أثبات

فؤاد نظر إلى يوسف بعينين باردتين

- لاء أنا القانون المضاد. أنا خرجت بقانوني الخاص من سجن المنطق. دلوقتي هاستخدم قوانينه ضده. لازم نعرف الهدف السادس، نوصل للكاتب اللي جاي قبله.

وضع فؤاد يده على كتف العقيد حاتم، وشعر حاتم ببرودة يد فؤاد وكأنها جليد. قال فؤاد قاطعاً آخر خيط للشرطة التقليدية

- حاتم، مش هاتلاقي أي دليلاً في الواقع المادي. هاندور عن الخطيئة السادسة بين الكتاب البقيين. وهانحاول نعكس قانونه.

ساد الصمت مرة أخرى. كان فؤاد قد خرج من محاكمة الوعي وهو يحمل داخله يقينًا علميًا قاسياً بحتمية القانون اللغوي، لكنه يحمل أيضاً رسالة تحدي كتبها بنفسه.
إثبات الحرية الإنسانية أمام قوة النظام.



تحقيق الاختفاء

كان المطر لا يزال يهطل بغزارة على نوافذ المكتب، والملفات تتكدس فوق الطاولة كأنها شواهد قبور صغيرة.

ألقى حاتم نظرةً على تقريري الاختفاء المتزامنين، ثم قال بنبرة مشحونة بالإرهاق

- الاتنين اختفوا في نفس الوقت بالظبط يا جماعة، الساعة تسعة مساءً، واحد في مكتبه على البحر، والتاني في شقته، في جاردن سيتي. ومفيش أي أثر عن صراع، لا كاميرات، لا شهود...

يوسف، وهو يقلب صور الأوراق المكتوبة

- القانون الرابع ... والقانون الخامس.

كأن العهد بيكمل نفسه خطوة بخطوة.

فؤاد بعصبية مكتومة

- يا يوسف، بطل الكلام الغيبي ده!

مفيش عهد، في برنامج وفي حد وراء البرنامج ده!

يوسف هادئًا، بابتسامة باردة

- طيب فسرلي التزامن يا دكتور؟

اتنين مختلفين، في مكانين بعيد عن بعض، في لحظة واحدة؟

ده مش برنامج.

حاتم يحاول الإمساك بخيط المنطق

- يعني حضرتك شايف إن في كائن وعي أيا كان اسمه بيدير كل ده؟!

يوسف

- مش كائن... الكلمة نفسها هي القانون.

كل ما يسقط كاتب، الكلمة بتقرب من الاكتمال.

فؤاد ينفجر

- اكتمال إيه يا يوسف؟!

إنتو عايزين تخلوا الكلمة إله؟!

الإنسان هو اللي بيصنع الكلمة، مش العكس!

ساد الصمت،

ثم قال حاتم وهو ينظر إليهما بجدية ثقيلة

- يعني عندنا دلوقتي خمس اختفاءات...

وكل مرة، بيطلع قانون جديد.

لو في نظام فعلاً، يبقى إحنا داخلين على مصيبة ماورائية.

بهاء، وهو يراجع الجدول أمامه

- يا فندم... فضل 6 كتاب كانوا طلبوا الكلمة في المؤتمر

إزاي هانعرف الاتنين منهم؟

رفع يوسف رأسه وقال ببطء كأنه يعلن نبوءة

- سته باقيين وسبعة ... يعني نهاية العهد.

أما فؤاد فمد يده إلى الورق وأغلقه بعنف

- أو بداية الحرية الإنسانية، لو قدرنا نكتب قبلهم.

في تلك اللحظة، انطفأ ضوء المكتب للحظة قصيرة،

ثم عاد ليكشف على الحائط جملة جديدة بخط أحمر،

لم تكن موجودة قبل قليل

- من خاف الكتابة، كُتب فيه الخوف.

تبادل الثلاثة النظرات، قال حاتم بصوت مبحوح

- مين كتب ده؟

أجاب يوسف وهو يحدق في الجدار بثبات مقلق

- الوعي... بيمهد للكاتب الجاي.

أمسك فؤاد القلم من على المكتب، كتب تحته بخط حاد واضح

- الأنسان حر ومسئول عن تصرفاته، ولا يوجد وصايا لأي مخلوق كان على الوعي والابداع الإنساني.

التحقيق الثاني قاعة المؤتمر

كان المساء ساكنًا حين وصلت سيارة التحقيق إلى مبنى مكتبة الإسكندرية. حيث أقيم قبل أسابيع مؤتمر العهد والكتابة تقدّم العقيد حاتم عوني، يتبعه د. فؤاد، ويوسف. يسير بخطوات بطيئة كمن يعود إلى ذاكرة يعرف أنه نسيها عمدًا، وراءهم النقيب بهاء يحمل حقيبة سوداء بيده. القاعة مظلمة إلا من ضوء خافت يتسرب من شقوق النوافذ العالية. على الجدران لافتات معلقة تحمل شعارات المؤتمر. هل للكلمة وعيّها الخاص، العهد بين الكاتب والنص. كانت صفوف المقاعد خالية إلا من أوراق متناثرة وأكواب فارغة. وقف العقيد في منتصف القاعة وقال

- هنا شوهد آخر مرة الكتاب المختفين.

أخرج النقيب بهاء كاميرته، بدأ يلتقط صورا.

بينما انحنى يوسف يلتقط ورقة من الأرض،

قرأ سطرها الوحيد بصوت خافت:

- من يكتب كلمة بغير عهدها... يكتب نهايته بيده

نظر إليه العقيد حاتم بحدة

- دي من أوراق المؤتمر؟

أجابه يوسف

- من النص الأصلي للمحاضرة الختامية... لكنها ليست بخطي.



تفريغ الكاميرات

جلسوا بعد قليل في غرفة التسجيل الصغيرة الملحقة بالقاعة، حيث احتفظت الإدارة بنسخة من تسجيل المحاضرات. شغل النقيب التسجيل الخاص بالجلسة الحوارية

كان من بين الذين طلبوا الكلمة الأحد عشر قد اختفى خمس كتاب، وبحسب تقدير يوسف فهناك أثنان باقين للاكتمال قوانين العهد، كان د. فؤاد والعقيد حاتم يريدان تحديد الهدف التالي للوعي أو الظل أيا كان اسمه ومن السته الباقين أستبعد د. فؤاد الكاتبة **سمية طارق**، بعد أن قابلها وتحدث معها، أكد انها كاتبة بلا خطيئة كل لهم

- سمية طارق، دي بتكتب بصوت الحق، مش بتخاف، ومش بتجامل، اللي عنده حجة زيها، ميتخافش عليه.

كان أول فديو استمعوا له هو فديو لكلمة رامي أنور حيث بدأ كلمته قائلا.

- أنا شايف إننا بندي الكلمة سلطة أكتر من اللازم**...**
  الكاتب مش نبي، ولا الحرف وحي**.**
  الكلمة لازم تتوزن بالعدل زي أي فعل بشري،

لأن الظلم الحقيقي مش اللي بيحصل في المحاكم...
الظلم بيبدأ لما نكذب بالقلم.

كانت كلماته كالسكين تقطع الهواء بهدوء،
فنظر إليه يوسف زهران وقال بنبرة فيها محاولة تلطيف:

- بس يا أستاذ رامي، الفن مش قانون...
الإبداع مش ممكن يتحاكم بالموازين دي، وإلا ضاع.

ابتسم رامي ابتسامة باهتة وقال:

- أنا مش بحاكم الفن، يا دكتور، أنا بحاكم صاحبه.
لما الكاتب يزوق الحقيقة عشان يرضي القارئ أو السوق،
هو بيظلم الحقيقة، وبيظلم نفسه.

حرك د. فؤاد رأسه بتفكير، ثم قال بهدوءٍ متأمل:

- يعني حضرتك شايف إن الكاتب لازم يكون محايد؟

ضحك رامي بخفة قصيرة:

- مفيش حاجة اسمها حياد مطلق... بس في حاجة اسمها نزاهة.
إنك تقول اللي شُفته من غير ما تزوّد ولا تنقص. حتى لو الحقيقة وجعتك، لأن الكلمة لو اتقالت ناقصة... تبقى خيانة.

صمتت القاعة قليلًا.

كان صوته واضحًا وسط الهمسات، كأنه يضبط إيقاع الحديث من جديد. ثم أكمل بنبرة فيها شيء من الحنين.

- أنا كنت قاضي قبل ما أكتب... وشُفت ناس بتضيع مش لأنهم أجرموا، لكن لأن الحقيقة اتكتبت غلط.

عشان كده سبت المهنة وجيت للأدب،

لأني اكتشفت إن الظلم بالقلم أخطر من الظلم بالحكم.

نظر إليه يوسف بإعجاب، وقال بهدوء

- أنا فاكر حضرتك أتقابلنا في قضية جابر الأسيوطي

أجاب رامي بثقة لا تخلو من مرارة.

- دي واحدة من القضايا اللي كان المتهم بريء، بل ومجني عليه لكن العدالة العمياء حولته لجاني نتيجة كلمة، لمحام أفاق، وشاهدة زور. لم يستطع القضاء فيها تحقيق العدل.

- يعني بالنسبة لك، الكتابة وسيلة لتطبيق العدالة؟

أجاب رامي

- بالضبط. العدالة مش بتتكتب في القوانين... بتتكتب في الصدق اللي جوا الجملة. الكلمة لو ما خدمتش التحقيق،

- القانون يتحول من نور يظهر الحق، لسكين تدبح المظلوم

كتب د. فؤاد ملاحظة سريعة في دفتره

- من استخدم كلماته لتحقيق العدل، أصبحت كلماته نور

ثم رفع رأسه قائلاً

- بس إيه رأيك يا أستاذ رامي، في اللي بيقول إن في وعي أعلى هو اللي يختار مين يكتب... يعني الكاتب مجرد ناقل، مش مصدر للعدالة.

ابتسم رامي وهو ينظر إليه بثباتٍ صادق

- ساعتها الوعي الأعلى يبقى ظالم زيه زي البشر، لأن العدل مش فوق... العدل جوه الإنسان اللي بيختار يقول الحقيقة وهو عارف تمنها.

كان صوته هادئًا، لكنه اخترق الصمت مثل حُكمٍ نهائي.

نظر د. فؤاد نحوه بعينين تقدران الصدق في لغته.



تذكر د. فؤاد أنه قد دون ملاحظة سريعة في دفتره في ذلك الوقت

أوقف الفيديو قبل أن يرفع رأسه قائلاً.

- رامي مش هدف للظل نشوف حد غيره

ثم همس يوسف زهران

- أتفق معاك يا دكتور، رامي أكيد مش هدف للظل.

-



الفديو التالي كان لكلمة كلمة سامي الدمنهوري. الذي بدأ حديثه قائلا

- كلامكم كله مثالي زيادة عن اللزوم! العهد والوعي والروح...

بس محدش فيكم اتكلم عن الحقيقة الوحيدة اللي بتحركنا إحنا الكتاب. إحنا بنكتب عشان نسبق بعض.الغيرة هي اللي بتخلي الواحد يكتب، هي البنزين اللي بيشغل الموهبة، أنا مثلاً... بمنتهى الصراحة، لو ما شفتش غيري بينجح، مش هتحرك.

كان يتكلم بانفعالٍ جميلٍ ومؤلم في آن، وفي عينيه بريق الجوع القديم الذي لا يشبع. يوسف ظل ينظر إليه في صمتٍ طويلٍ، ثم قال بصوت منخفض كأنه يكلمه من داخل ذهنه

يوسف هادئًا

- بس يا سامي... اللي بيكتب عشان يسبق غيره، مش بيسيب أثر... بيسيب غبار. والحسد ما بيخليش الكلمة تولد، بيخليها تتعفّن وهي لسه فكرة. الكاتب اللي عينه دايمًا على اللي جنبه، بينسى يبص لنفسه

سامي بلهجةٍ حادةٍ فيها قهر

- يعني أفرح لهم؟ أصفق؟ وأنا شايف ناس أقل مني بتتصدر المشهد! أنا بكتب أحسن منهم، ممكن ما عنديش واسطة زيهم

هنا أوقف يوسف الفيديو وقال

- **واضح جدا أنه يمثل خطيئة الحسد هدف محتمل للظل.**



كان الفيديو الثالث كلمة الطبيبة هالة مرجان حين قالت بصوتٍ خفيضٍ لكنه واضح:

- أنا مش كاتبة كبيرة زيكم، ولا فاهمة الفلسفة دي كلها... بس طول عمري شايفة إن الكتابة مش حرب، الكتابة شفاء.

التفتت إليها العيون دفعةً واحدة.

ابتسم يوسف زهران وقال بنعومةٍ مشجعة:

- كمّلي يا هالة... يمكن ده الصوت اللي محتاجين نسمعه

أكملت بخجلٍ رقيقٍ يخفي يقينًا عميقًا:

- أنا بكتب للأطفال... عشان أعلّمهم يحسّوا، مش عشان أبهرِهم.

لما بكتب قصة عن خوفهم أو عن فرحتهم، بحسّ إن الكلمة بتطبطب، مش بتهاجم. الأدب بالنسبالي مش وسيلة نملك بيها العالم، الأدب هو وسيلة نِرمّم بيها العالم اللي اتكسر.

هنا تدخّل د. فؤاد، صوته هذه المرة أقل حِدّة:

- بس يا هالة، انتي كده بتتكلمي عن الكتابة كعلاج، مش كفعل إبداعيّ... الفن محتاج صراع، محتاج وجع.

نظرت إليه هالة بنظرةٍ رقيقةٍ لكنها ثابتة:

- يمكن لو فيه خير جوانا، وقدرنا نكتبه بصدق... تكون كلماته علاج ويكون هو الطبيب، اللي بكلمة ، يمحي صراع ووجع

تنهدت أخيرا قبل ان تقول

- من كتب ليضمّد، صار الحبر في يده دواءً.

هنا تدخل العقيد حاتم وقال

- دي كمان مستبعدة ولا ايه يا دكتور

- تمام أنا متفق معاك نستبعدها



المتحدث التالي كان نادر القاسمي، الحاصل على نوبل.

كانت أول كلماته

- كفاية كلام عن العهد والخطايا والبديل. الكلام ده جميل، بس مثالي أوي. أنا كتبت قبل ما حد فيكم يحلم بالكتابة.

أعمالي بقت تُدرّس،

وأفكاري بتتقال كأنها بديهيات.لو دي خطيئة... فخليها أجمل خطيئة في الوجود.

سكت قليلًا، ثم أضاف وهو يبتسم بثقةٍ هادئةٍ تشبه السخرية:

- أنا ما بكتبش عشان أتعلم، أنا بكتب عشان أخلد أسمي في التاريخ

الكاتب الحقيقي هو اللي يصنع نظامه بنفسه، مش اللي يخضع لعهد محدش شافه

أوقف يوسف الفيديو وبصوت يشبه الهمس يحمل كل الثقة

- الخطيئة السابعة الكبرياء



كان أخر من طلب الكلمة رجلٌ بملامح رزينة، في نهاية الخمسينات من عمره وجهٌ يعرف النظام أكثر مما يعرف الفوضى،

كان نبيل عمران يمسك نظارته بإحكام كأنه يمسك ميزانا خفيا بين يديه. تقدم ببطء نحو المنصة وقال بصوت منخفض في البداية،

لكنه يحمل يقينا صلبًا كالمطرقة:

- أنا مش كاتب كبير ولا فيلسوف، أنا كنت محامي... قبل أن أدخل الأدب. واللي شفته في مجال الأدب مش بعيد عن اللي شفته في البحث عن العدالة

التفتت العيون نحوه باهتمام جديد. حتى يوسف رفع رأسه قليلاً، كأنه يعرف أن هذا الصوت جاء ليقول ما لم يقله أحد.

- اسمحولي أقول رأيي ببساطة... الكتابة مش عهد ولا وحي،

ولا هي تمرد كامل على الماورائيات. هي مسؤولية، زي القاضي لما يحكم، عارف إن كل كلمة بيقولها ممكن تغيّر مصير إنسان.

جلس فؤاد على مقعده، تأمل وجه نبيل بعين الطبيب الذي يقيس نبض المريض وقال بهدوء

- يعني حضرتك شايف إن الكاتب لازم يكون عادل؟ ده كلام جميل جدًا، بس الأدب مش محكمة يا أستاذ نبيل.

ابتسم نبيل، وأجاب بلهجةٍ مصرية خفيفة

- ما هو ده الغلط الكبير يا دكتور... الأدب هو أول محكمة عرفها الإنسان. الكلمة اتكتبت أول مرة عشان تحاكم فعل، عشان تقول ده صح وده غلط، مش عشان تبهر الناس بالبلاغة.

يوسف بصوتٍ شبه هامس

- يعني شايف إن الكاتب قاضي؟ مش شاهد؟

نبيل

- هو الاتنين يا يوسف... شاهد وحاكم. يشوف الحقيقة، وبعدين ينطق بيها، بس من غير ما يزوقها أو يزورها عشان يعجب الجمهور. الكاتب اللي بيكذب، حتى لو كذب بلطف، بيظلم الحقيقة زي قاضي مرتشي.

تقدمت ليلى منه بخفة، قالت بابتسامة مغرية

- بس يا أستاذ نبيل، الحقيقة ليها وجوه كتير... أحيانًا بنحتاج نزينها شوية عشان تتقبل، زي المريض اللي بتديه دواء بطعم سكر، علشان يرضى يشربه

ابتسم نبيل، لكنه لم يبادلها المجاملة، صوته صار أكثر جدية

- الدواء بطعم السكر ممكن يكون مقبول، بس الكذب بطعم الفن، مش مقبول أبدا. ده بيقتل القييم في الناس. العدالة في الأدب مش معناها قسوة، معناها صدق... حتى لو طعمه مر.

ساد صمت جديد،

القاعة غاصت في توتٍ من نوع مختلف؛ ليس رعبا من المجهول، بل مواجهة للذات. رفع يوسف عينيه نحو رامي وقال

- بس فين مكان الوعي في رؤيتك؟ لو كل حاجة من صنع الإنسان،

يبقى فين الإلهام؟ فين الصدفة اللي بتخلي الحرف يطلع من القلب مش من الحساب؟

أجابه نبيل بابتسامة خفيفة

- الإلهام يا يوسف مش صوت من السما... الإلهام ضميرك وانت بتكتب. اللحظة اللي تختار فيها ما تزورش، ما تزودش، ما تسرقش. دي لحظة وعي... بس وعي بشري خالص.

كأن كلماته أطفأت شيئا مشتعلا في الهواء، هدأت الأضواء قليلًا،

وسمع في الخلفية صوت الآلة الكاتبة وكأن أحدهم يكتب عليها اقترب أحد المنظمين منها، لكن يوسف أشار له بالتوقف.



أصر العقيد حاتم أن يستمع لكامل التسجيلات حتى الكلمة الأخيرة. كانت القاعة قد غصت بالوجوه المرهقة. الجدالات السابقة أنهكت الجميع، وبدت الأجواء كأنها على حافة انفجار فكري. جلس يوسف زهران في مقعده، صامتًا، ينظر إلى الفراغ، كأنه يسمع شيئًا لا يسمعه غيره. أما د. فؤاد الجبالي، فكان يقلب بين أوراقه بعصبية ظاهرة، كمن يبحث عن يقين بين السطور ولا يجده. ارتفعت الأنوار قليلًا،
حين ظهر صورة يوسف على الشاشة بعد أن أعتلا المنصة قائلا

- في نهاية الحوار عن العهد والكتابة. انقسمت الآراء الرأي الأول يقول إنها ابداعاً إنسانيا مطلقا... والرأي الأخر يقول إنها إلهام أو عهد

ثم سمعوا تصفيقا. حين صعد دكتور فؤاد للمنصة ووقف في مواجهة يوسف. وقف بثبات الطبيب الذي يتهيأ لتشريح وهم كبير، وقال بصوت عميق لكنه متوتر

- من أول المؤتمر وإحنا بنتكلم عن العهد كأنه كيان مقدس، ونسينا إن الكلمة في الأول فعل إنساني. الكاتب مش وعاء، الكاتب عقل، والعقل هو اللي بيبدع، مش بيتلقى.

ساد الصمت في القاعة.

رفع يوسف نظره نحوه، عيناه شبه ساكنتين، كأنهما تحدقان في عمق لا مرئي. ثم قال بهدوء غريب، بصوته الذي يشبه الهمس

- دكتور فؤاد**...** الابداع اللي بتتكلم عنه ده مش ملكنا، إحنا بنعيد ترتيب اللي موجود،مش بنخلقه

تاريخ الفن والأدب مليان إشارات زي،

ربة الشعر، أو بنات الأفكار أو الإلهام السماوي. وكلها مصطلحات كبرنا واتربينا على انها موجودة.

وكثير من الكتاب يوصف لحظة تدفق الأفكار بـ النبوغ المفاجئ أو اللحظة التي تفتح له فيها أبواب الوحي.

كمان ظاهرة جفاف القلم، هي أقوى دليل على أن الكتابة ليست مجرد جهد عقلي ممكن نشغل وقت ما نحب. لو كانت كده كان الكاتب قدر يضغط على نفسه ويكتب في أي وقت.

لكن غياب الإلهام يُشل العملية بالكامل.

ابتسم د. فؤاد بسخرية خفيفة وهو يخطو نحوه

- يعني حضرتك شايف إن الكاتب مجرد وسيط؟

طب لو هو وسيط.. فين إنسانيته؟ فين حريته؟

ليه نعيش عبيد لوهم اسمه الوعي الأعلى؟

أنا شايف إن الإبداع هو قمة الوعي البشري، وكتابة الشعر أو القصة، هو نتيجة تراكم معرفة وخبرة مكتسبة من تجارب للشخص نفسه، أو لأخرين، أو حتى كتابة الفنتازيا، مش أعادة خلق، لكن استخدام مخيلة ربنا خلقها فينا كبشر،

همس بعض الحضور بين مؤيد ومعارض،

أما يوسف فظل هادئًا، وقال بصوت منخفض لكنه قاطع

- الكتابة البشرية عمرها مؤقت...

وأنا مقولتش إن إحنا بنخلق النص، إحنا بنستعيد ذاكرة الزمن اللي اتنست.

اقترب فؤاد أكثر، رفع نظارته قليلاً، وقال بحرارة كأنه يدافع عن آخر ما تبقى من يقينه

- يوسف، إنت بتتكلم كأن الإنسان ناقص! أنا شوفت مرضى فقدوا الذاكرة، وأول حاجة عملوها قبل ما يعرفوا حاجة عن ماضيهم إنهم كتبوا، كتبوا من جواهم، من وجعهم... الوعي اللي بتتكلم عنه مش إله، هو استسلام من نوع جديد... استسلام فلسفي مغلف بالحكمة. لكن الحقيقة، يا

يوسف، إننا بنوجد المعنى لما نختار نكتبه، مش لما نستناه ينزل علينا.

يوسف بابتسامة خافتة

- والاختيار ده جالك منين؟ ... من عقلك؟ ولا من فكرة جتلك فجأة، من اللا شيء؟

أهو هو ده اللاشيء اللي أنا بسميه وعي أكبر.

الكلمة تختارك، حتى لو افتكرت إنك إنت اللي اخترتها.

ضحك فؤاد بمرارة وهو يرفع صوته قليلًا

- يا يوسف، الوعي مش بيختار... الوعي بيتكون!

بيتكون من التجربة، من الخطأ، من الحُلم، من أول مرة طفل يمسك قلم ويخربش، دي لحظات تكوين الوعي.

اللحظة اللي الإنسان يقرر فيها يدون وجعه، دي لحظة وعي بشري خالص، لا روح فيها ولا عهود.

ساد توتر خفيف في القاعة، كأن الجدران نفسها تستمع لتعارض النبضين. اقترب يوسف من المنصة، وقف أمام د. فؤاد، وحدث ما لم يتوقعه أحد.

تقدم خطوتين مد يديه لدكتور فؤاد الذي أقترب ليحتضن يوسف،

وكأنهم كانا يقدمان عرضا مسرحي.

عاد يوسف يواجه الحضور، خفض رأسه قليلاً وقال بصوت كأنه يخرج من عمق آخر

- أتفق طبعا مع دكتور فؤاد، يمكن يكون رأيه صح، ويمكن يكون رأيي أنا صح.

لكن اللي لازم كلنا نتأكد منه... إننا مبنكتبش عشان ننتصر،

إحنا بنكتب عشان نفتكر إننا لسه موجودين.

ثم رفع رأسه، وابتسم كأنه يرى ما وراء العيون، وقال ببطء يقطع الهواء

- الوعي الحقيقي مش فوقنا... ولا جوانا. هو بين الاتنين،

المسافة اللي بتفصل بين الحرف اللي اتكتب،

والحرف اللي لسه بيفكر يتكتب.

صمتت القاعة تمامًا. حتى الأنفاس أصبحت أهدأ من الظلال.

ثم فجأةً، انطفأ الضوء للحظة، وعندما عاد، كانت الآلة الكاتبة قد تحركت من مكانها قليلًا، كأنها اقتربت من المنصة وحدها.

نظر د. فؤاد إليها بذهول، وفي تلك اللحظة، على الورقة البيضاء بداخلها، طبع حرف جديد



بعدها مباشرة، انطفأ الصوت،

وجاءت لحظة غريبة. ضوء أزرق يملأ القاعة في الفيديو، وصوت تداخل إلكتروني خافت يشبه الهمس وكأنه يكمل النقاش

- من وعيٍ أكثر حكمة... تأتي الكلمة

ثم تشوش التسجيل. لكن فؤاد طلب أن يعيد اللقطة الأخيرة ببطء. في الإعادة، ظهر في الخلفية لحظة الوميض الأزرق ظلا لشخص كان يجلس ثم أختفي من مقعدة وترك خلفة المقعد فارغ فجأة. قال النقيب بهاء

- ده خلل في التصوير يا دكتور أكيد، أو انعكاس

- انعكاس إيه؟ الراجل اختفى فعلاً

أكملوا الفيديو، بعد المشهد الأخير الكاميرا ما زالت تعمل، أنصرف الحضور تباعاً والقاعة أصبحت فارغة تمامًا، إلا من الآلة كاتبة داخل الصندوق الزجاجي على المنصة، تطبع وحدها ببطء بصوت مسموع ... تك . تك . تك

فؤاد دوّن ملاحظاته سريعًا، بينما جلس يوسف صامتًا تمامًا، عيناه لا تبرحان الشاشة.

عودة جلال

فتحت الزوجة الباب في وجه **يوسف** كمن يفتح قبراً لا بيتاً. دعته للدخول قبل أن تسأله من هو، اشارت تجاه الغرفة حيث يجلس وقالت

- دخل علينا فجأة بعد غياب أسبوع... فرحنا وافتكرناه رجع، بس اللي رجع مش هو.

قادته نحو غرفة المكتب. الجو ثقيل برائحة رماد قديم، الستائر مغلقة، والهواء بارد. على الطاولة جلس **جلال البدري**، جسده يحمل رائحة دخان خفيفة كذكرى نسيها الجميع. كان وجهه شاحباً، وشعره هادئاً، لكن عينيه، اللتين كانتا من قبل تشتعلان غضباً وحنقاً، صارتا مطفأتان كجمر بلله المطر.

كانت يده اليمنى ملفوفة بضمادات، يتسرب من تحتها سواد الحروق.

قالت الزوجة بصوت مرتجف

- من يوم ما رجع، ما مسكش القلم. بيقعد كده بالساعات...

كان **يوسف** ينظر له بصمت، يراقب عودة الكاتب الذي ظن أن صوته هو الحقيقة، **وبهدوء يحمل ترقباً**

- أهلاً بك يا جلال. هل عادت النار؟

لم يبتسم جلال، بل هز رأسه بحركة بطيئة لم نعهدها فيه. رفع يده اليمنى نحو الضوء البارد، نزع عنها الضمادة، كانت كفاً متيبسة سوداء، مغطاة بآثار حروق قديمة امتدت حتى أطراف أصابعه. كانت الأصابع مفتوحة في وضع لا يستطيع الانغلاق، كأنها نسيت تماماً كيف تعقد قبضة أو تمسك قلماً.

جلال بصوت أجش، خال من الانفعال الذي كان يميزه

مبقاش في نار خلاص، اتسحبت مني.

يوسف يقترب، يتأمل يده المحروقة كشاهد إدانة

القانون بتاعك كان

- من استخدم الكلمة لأحرق غيره، نال لهيبها من يده

أنت اللي حرقت إيدك؟

جلال ينظر إلى يده كمن يتأمل قبره

- النار دي مش من بره يا يوسف.

أنا حسيت بالنار وهي بتخرج مني جوايا، من صدري.

حاولت أمسكها حرقت إيدي.

- أنا بقيت النقيض بتاعي يا يوسف. يا ريت كانت عقوبتي الموت، لكن التحول للبرودة مطلقة، مش قادر استحمله.

- أنا شايف كل حاجة، الظلم والفساد والجنون... ومش لاقي جوايا حتى ذرة غضب.

يوسف

- ممكن ده يرجعلك التوازن، النار جواك كانت خلل

جلال تلمع في عينيه لحظة رفض قاسية، لكن صوته يظل هادئاً

- لا. مرجعش التوازن... جوهر الوجود نفسه اتشال من جوايا.

- أنت عارف إيه هو الجحيم الحقيقي؟

صمت لبرهة، ثم قال بمرارة مُتجمدة

- إنك تشوف الحقيقة بوضوح تام، ومتلاقيش في روحك نار كافية تصرخ بيها!

كنتُ فاكر أن غضبي هو خطيئتي، فأكتشفت أنه كان مصدر حياتي. أنا أرفض هذا الحكم... أرفض هذا الصمت الإجباري!

مد جلال يده اليسرى السليمة، وحاول أن يمسك بقلم ملقى على الطاولة. اقتربت الأصابع، لكنه سحب يده فجأة بـ اشمئزاز.

- مش قادر أكتب. كل لما أحاول أمسك قلم، أحس بالقرف من القلم نفسه. وبرود بيقتل الكلمة في حلقي. قبل ما كتبها. غضبي وصوتي راحو، واللي فضل لي إيد محروقة بتفكرني أن يوم من الأيام كانت بأكتب بالنار.

يوسف بصوت منخفض، كأنه يفسر حكماً قديماً

- الإصلاح لا يولد من الحريق، لكن من الرماد.

- أنت مكنتش بتحاول الإصلاح، كنت بتحاول تحرق العالم علشان تحس بوجودك.

دلوقتي لازم تتعلم أزاي تعييش وأنت ساكت.

نظر جلال نحو يوسف طويلاً، وفي عينيه اليقين الصارم بأن هذا الموت أبطأ من النار. وبهمس قاتل

- أحياناً، يا يوسف... الإطفاء جريمة أبشع من الحرق.

انصرف يوسف يغادر بهدوء، بظهر مستقيم وخطوات بطيئة، تاركاً خلفه برودة غريبة في الهواء.

يوسف زهران كتب ملاحظة فور خروجه

- الظل لم يحرقه، بل نزع منه النار، كأنه جرده من جوهره.

كان جلال أول من عاد بلا روحه. لم يعُد حياً كما كان،

لكنه عاد شاهداً على أن العقاب ليس الموت، بل أن تصبح النقيض الذي تكرهه.



عودة عزت

كان العقيد **حاتم عوني** يجلس في مكتب عزت، محاطاً برفوف لا نهائية من الكتب. رائحة الورق القديم كانت تخنق المكان. كان يحاول جاهداً أن يربط بين عودة خالد الكسل وعودة جلال الغضب وبين هذا الرجل الذي يملك كل المعرفة.

حاتم للرائد بهاء، وهو يمسح الغبار عن كتاب

الغريب أن مفيش حد حس بأي صوت رغم أن المكتبة في مكان مزدحم ومفيش أي حد قال انه سمع حاجة غريبة يوم الاختفاء

بهاء يكتب في دفتره

ممكن نلاقي دليل هنا يا سيادة العقيد. المكتب ضخم... ممكن يكون فيه أي أثر أو كتاب غريب...

فجأة، لم يحدث صوت، بل حدث **تثاقل في الهواء**. الكتب المتبقية على الرفوف اهتزت بشكل خفيف، وكأنها **تنبض أو تتنفس**.

تحول الضوء في الغرفة إلى **لون باهت مُصفر** يشبه ورق المخطوطات القديمة.

في منتصف الممر بين الرفوف، تشكل **تكوين ضبابي** من حروف وكلمات تتطاير، ثم تجمعت في جسد **عزت السيوفي**. كان يقف مكانه، يرتدي ملابسه التي اختفى بها، لكن عينيه كانتا **شاردتين**

ومغلقتين جزئياً، وجسده مغطى بغبار ناعم أبيض يشبه رماد ورق محروق.

حاتم يرفع يده لوقف بهاء

- أهلاً بك يا دكتور عزت. أنت كويس؟

لم يُجب عزت. بل نظر حوله ببطء، وكأن عينيه لا تريان الأشياء، بل **تقرأها**. ثم مد يده نحو أقرب كتاب، لكنه لم يلمسه.

وبصوت أجش، بدأ في التمتمة **بصوت عميق، لا يشبه صوته**

- يقول نيتشه 'الذي يمتلك لماذا، يمكنه أن يتحمل أي كيف'.

- يقول القانون الخامس

من أراد أن يملك كل المعاني، نزع منه المعنى كله.

- توقف عزت فجأة، وعاد ينظر إلى حاتم وبهاء، لكن بنظرة تائهة.

حاتم بهدوء، يتقدم خطوة

مين قال الكلام ده يا دكتور؟ وإيه القانون ده؟

عزت تلمع عيناه بوميض سريع من الوعي، ثم تعودان للشوب

- المسخ... هو اللي قال!

كنتُ فاكر أن تراكُم المعلومات يضاعف الأفكار...

لكن بقيت مسخ، ما بتكلمش بأفكاري، بتكلم بإقتباساتهم

- إنت كنت فين يا دكتور؟ مين المسخ ده؟ إيه اللي حصل لك؟

حاول عزت أن يتكلم. فتح فمه، لكن بدلاً من أن تخرج الكلمات، خرجت **اقتباسات متداخلة** بسرعة جنونية

- أنا...الفكرة هي الرغبة الأولى... آرثر شوبنهاور ...
- الوجود يسبق الماهية... جان بول سارتر ...
- يجب أن نعرف المعرفة... أرسطو... أنا... أنا...

توقف عزت فجأة وهو يمسك برأسه بألم.

- كل ما أحاول أقول أنا،
- يصرخ جوايا صوت كل اللي قرأت لهم!
- أنا مش عزت أنا... أنا صدى ضخم لمعرفة الآخرين.

حاتم نظر إلى بهاء بجدية، ثم أخرج قلماً

- يا دكتور عزت. اكتب اسمك. اسمك الحقيقي.

مد عزت يده ببطء. التقط القلم، ونظر إلى الورقة البيضاء أمامه.

ارتجف جسده بعنف، ثم بدأ يكتب.

لكن ما كتبه لم يكن اسمه. بل كانت **رموزاً قديمة** وحروفاً تتداخل مع بعضها البعض، ثم تحولت إلى **دوائر متكررة** تحيط بكلمة واحدة في المنتصف **فراغ.**

انفجر عزت فجأة بالبكاء، لكن صوته خرج كـ **تنهيدة هادئة جداً** لا تليق بالبكاء، ثم انهار على الأرض.

حاتم التقط الورقة، وعيناه ثابتتان على عزت

- سجل يا بهاء، الكاتب فقد قدرته على الكلام بصوته الخاص.

العقاب هنا هو الامتلاء بالمعرفة.

ثم نظر حاتم إلى عزت العائد الذي كان يئن بهدوء، ثم همس لنفسه

- عزت عنده كل الإجابات... لكنه فقد قدرته على طرح الأسئلة.

ملاحظة يوسف زهران لاحقاً

- عزت لم يشتكي يوما بنقص المعرفة، بل أشتكى من فيضها. لم يعاقب، بل عاش الحقيقة التي آمن بها أن الفكر ليس سوى تراكُم. والآن، هذا التراكم بات مقبرته.



الحسد

كان سامي الدمنهوري شاعرًا يعرف اللغة كما يعرف خصومه. جميل العبارة، أنيق الحضور، يبتسم وهو يطعن. كلماته مصقولة كالمرايا التي يعشقها؛ يعكس بها وجوه الآخرين ليبحث فيها عن وجهه الضائع. في بداياته، أحبّ زملاءه بإعجابٍ حقيقي، لكنّ الإعجاب تحوّل إلى غصّةٍ كلّما صفق الجمهور لغيره. كان يقرأ أعمال أصدقائه بعيون ناقدة، يبحث عن ثغرة صغيرة تُبرّر راحته.

أن أحدا لا يستحق الضوء أكثر منه.

كتب الشعر، ثم هجره، وصار يكتب نقدًا قاسيًا كالسوط.

كل مقالةٍ جديدة كانت كفنًا لاسمٍ جديد. كان يقرأ كي يجد في غيره ما يكرهه في نفسه، ويكتب ليُعيد التوازن بين الغيرة والكبرياء.

لم يكن يكره الموهوبين، بل كان يخافهم. يخاف أن يسبقوه إلى الخلود. وفي كل مرةٍ يسمع فيها تصفيقًا لغيره، كان يشعر أن التصفيق صفعةٌ موجهة إلى اسمه.

ليلة اختفائه، كانت ليلة ثقيلة، كأن الهواء نفسه أصبح ثقيل في شقته.

جلس **سامي الدمنهوري** أمام مكتبه الخشبي، يحيط به ركام أوراق

مكتوبة بخط اليد، بعضها ليس بخطه. ابتسم بمرارة وهو يتمتم لنفسه

هو أنا غلطان؟ الناس بتحب طريقتهم في الكتابة، وأنا كاتب زيهم... بس ليه ما حدش شايفني؟

سقط القلم من يده عندما سمع همسًا خافتا من داخل الغرفة، صوتا أشبه بصدى صوته، لكنه يأتي من خلفه

- إنت مش كاتب... إنت حاقد.

التفت بسرعة، فلم ير أحدًا.

لكن على شاشة الحاسوب كانت الجملة تكتب وحدها.

- من قلد كلمة غيره، صار أداة للنسخ.

اقترب ببطء من الشاشة، أصابعه ترتجف، ثم همس غاضبًا

- أنا مش ناسخ... أنا ناقد.

الجو صار أثقل، الإضاءة ارتعشت، وبدأت الأوراق الملقاة على الأرض تتحرك كأن ريحًا خفية تعبث بها. فجأةً، بدأت تُعاد كتابة نفس الجملة على كل الصفحات. كأن اليد نفسها تكتب في كل الأوراق معًا. صرخ سامي زعرا

لكنه سمع في الخلفية صوت الآلة الكاتبة تدق بإيقاع مطابق لدقات قلبه. ثم توقف كل شيء. في المرآة المقابلة له رأى نفسه جالسًا، يكتب على الآلة الكاتبة

مد يده، فلم يرى لها إنعكاس في المرآة، وكأن الآخر في الداخل هو الأصل وهو النسخة.، ابتسم الظل في المرآة وقال بصوت بارد يشبه صوته

- من كتب ليشبه غيره، اختفى في الشبه.



كنت أراه وهو يقرأ لا ليعرف، بل ليتأكد أنه أفضل ممن يقرأ لهم. الحسد يا سامي ليس كراهية للآخر، بل إنكار للذات حين ترى في غيرك صورتك الناقصة. هو أن تنظر في المرآة وتظن أنها تسرق وجهك. في كل مرة كان يقارن نفسه بغيره، كان يسلخ عن روحه طبقة جديدة من السلام. صار يقاس بما يكرهه، حتى صار هو الكراهية نفسها. حاولت أن أُذكره بصوته الأول، ذلك الشاعر الذي كان يكتب ليشفى لا لينافس، لكنه لم يسمع إلا صدى المقارنة في داخله. الحسد يا سامي موت بطيء، لأنه يذيب وجودك في ظل الآخرين. ومن ذاب في غيره... اختفى من الوعي.

لذلك لم أقتلك،

بل محوتك برفق، كما تُمحى الكلمة المكررة من النص المكتمل.

لم يبق منك إلا الفراغ، فراغ رمادي يشبه الصمت بعد القصيدة.

وفيه فقط، وجدتك أخيرا متساويا مع من حسدتهم.

وبحبر رمادي كتبت القانون السادس

من يقيس قيمته بظل غيره أصبح ظل بلا قيمة



في صباح اليوم التالي،

دخل الموظف المسؤول عن النشر الإلكتروني إلى مكتبه

بالجريدة، ليجد الحاسوب ما زال مفتوحًا على مقاله الأخير. لكن الصفحة كانت بيضاء تمامًا، لا عنوان، لا اسم، لا كلمة واحدة. وحين حاول أن يبحث في المحفوظات، وجد كل مقالات سامي السابقة، لكنها خالية من توقيعه أيضًا. كأن أحدهم أعاد كتابة التاريخ الأدبي. وحذف منه اسمه بعناية. وعلى الجدار خلف مكتبه، بخط باهت من الحبر الرمادي، لا يمكن رؤيته إلا بعد التدقيق.

كانت هناك جملة واحدة، تحت عنوان القانون السادس

- من يقيس قيمته بظل غيره أصبح ظل بلا قيمة



مرايا لا تعكس وجهين

كانت شقّة سامي الدمنهوري في حيٍّ راق، تطل على أحد الشوارع الهادئةِ التي تلمع بالمطر. حين دخل فريق التحقيق، استقبلهم صدى خفيف يشبه النفس الأخير لنغمةٍ موسيقيةٍ لم تكتمل.

الجدران كانت بيضاء تمامًا، لكنها مغطّاة بعشرات القصاصات من الصحف والمجلات، كلها تحمل صور كتاب آخرين، مقالات نقدية، جوائز، عناوين كتبٍ شهيرة. وفي منتصف الجدار، كانت هناك مرآة كبيرةٌ مشقوقةٌ بخطٍّ مائلٍ من الأعلى إلى الأسفل.

وقف العقيد حاتم عوني يتأمل المشهد وقال

- المكان مش فوضوي، لكنه مش طبيعي.

النقيب بهاء

- زي معرض مقارنة، كله ناس تانية... ولا صورة واحدة ليه.

تقدّم د. فؤاد الجبالي بخطوات مترددة.

كان صامتا أكثر من العادة منذ الحادث السابق، لكن ملامحه

بدت مشدودة، كأن شيئا في داخله يستيقظ ببطء. اقترب من المرآة، مرر يده فوق الشق، ثم تمتم

هو ما كسرهاش عشان ما يشوفش، كسرها عشان يشوف نفسه في مرتين.

التفت إليه العقيد حاتم

- يعني إيه الكلام ده؟

- كان بيقارن نفسه بالآخرين طول الوقت... لحد ما اختفى في مقارنة ما خلصتش.

رفع العقيد ورقةً عن المكتب، كانت قصاصة من مجلة أدبية، تحمل سطرا مكتوبا بخط اليد فوق المقال.

- من قلد كلمة غيره، صار أداة للنسخ

العقيد قرأها بصوت منخفض ثم نظر إلى يوسف مستفهما.

- العبارة دي اتكررت قبل كده؟ نفس الصيغة، أو نفس البنية؟

يوسف لم يُجب. كان يقف أمام المرآة المشقوقة، لا يسمع ولا يرى. كأن الضوء انطفأ في عينيه قبل أن ينطفئ في الغرفة. كان يرى ما بداخل المرآة، محاكمة تتم، حيث سقط سامي على الأرض ومن حوله فراغ، والفضاء هنا ليس ظلامًا ولا

نورًا، بل مرايا. آلاف المرايا متجاورة، كل واحدة تعكس وجهًا يشبه وجه سامي لكن بعينين مختلفتين. وجوه شعراء، كُتاب، أصدقاء، خصوم،

كلهم يبتسمون ابتسامةً ناقصةً كابتسامة فوز بلا روح.

يقف سامي في المنتصف، ينظر حوله بارتباك وغضب مكتوم.

إنعكاسه من داخل المرايا

- كم مرة صفقت لغيرك بأسنان مغلقة؟

تجمد في مكانه، رأى ظله يخرج من إحدى المرايا، نسخة من نفسه تمامًا، لكن عينيه كانتا مزيجًا من ضوء أصفر وغيرة خضراء كالسم.

- أنا ما كنتش بحسد... كنت بانتقد!

النسخة بابتسامة ساخرة

- النقد حب مكسور يا سامي،

وأنت أحببت نفسك حتى كسرتها في كل مرآة رأيتها.

تتحول المرايا حوله إلى ماء راكد، كل وجه فيها يذوب ببطء، إلا وجهه. **نسختة تحدثه**

- أنت كسرت القانون السادس.

من يقيس قيمته بظل غيره أصبح ظل بلا قيمة

- كنت عايز أكون الأفضل

- لكنك صرت الأسوأ لأنك لم تكن أنت

تقترب المرايا منه، حتى صار محاصرًا بانعكاساته التي تهمس كلها بصوت واحد خانق

- أين أنا؟ أين أنا؟ أين أنا؟

يسود صمت لثوان، ثم تقول النسخة

- سأسمح لك بالعودة، لو كتبت نصًا لا تلتفت فيه لاسم غير اسمك،

نصًا لا يذكُر أحدًا، لا يُنافس أحدًا، نصًا صادقًا لأنك وحدك فيه.

- ولو فشلت؟

- ستبقى هنا، تتقاتل مع مراياك، وكل وجه فيها سيحسد وجهًا آخر، حتى تفنى المرايا ببعضها وتبقى أنت الفراغ.

وقبل أن يذوب المشهد،

همست النسخة في أذنه بصوت شفاف كحد الزجاج

- الشخص الذي لا يرى سوى وجوه الاخرين، ينسى أن لها وجها.



اشتعال الشك

بعد عودتهم إلى القسم، جلس العقيد في مكتبه يقلب الملفات أمامه

مروان، خالد، ليلى، جلال، عزت... والآن سامي.

ستة كتاب. ست جمل ختامية. ست ظلال غابت.

قال النقيب بهاء فجأة وقال بصوت خافت

- سيادة العقيد، في حاجة مش داخلة دماغي.

- قول يا بهاء

- كل الجمل اللي بتظهر في مسارح الاختفاء، نفس البنية اللغوية، ودايمًا يوسف زهران بيكون قريب في نفس توقيت ظهورها، أو أول من يلمحها. حضرتك مش شايف إن ده... مش صدفة؟

ظل العقيد صامتا للحظة، ثم قال

- أنا شاكك فيه فعلاً... معنديش دليل ضده

كل قضية بحس إنه دخال وكأنه بيقراء نص مكتوب قبل كده، بيكون عارف معلومات مش من التحقيق، ومش من الأدلة.

ثم نظر إليه بحدة

- بس يوسف لازم يفضل تحت المراقبة، وما يتسبش لوحده ولا ثانية.



في المساء،

استدعى العقيد حاتم عوني، يوسف زهران إلى غرفة التحقيق.

الجوّ كان مضغوطًا، والإضاءة خافتة.

العقيد حاتم

- يوسف، أنا مش هلف وأدور. كل اللي اختفوا كانوا في مؤتمر حضرتك بتلقي فيه محاضرة.
والجمل اللي بنلاقيها، متطابقة مع نصوصك في النوته بتعتك نفس اسلوبك الفلسفي. إنت بتكتب ده بإيدك ولا بتأمر حد يكتبه؟

يوسف بهدوءٍ غريب

- أنا ما كتبتش حاجة يا حاتم بيه... أنا كنت معاكم لما لقينا القونين مكتوبة.

ضرب العقيد الطاولة بغضبٍ مكتوم

- كفاية غموض!

إنت عايز تقول إنك مش مسؤول، وإن في قوة بتتحكم؟

ابتسم يوسف وقال بصوتٍ منخفضٍ كأنّه ليس منه

- ممكن أكون تنبأت باللي هايحصل، في كلامي عن العهد. لكن الأمر كان مجرد فرضية، وأنا لا أملك تنفيذها في الواقع.

في تلك اللحظة، انقطعت الإضاءة لثوانٍ. ثم أضاءت مصابيح الطوارئ الحمراء. وعلى الجدار خلف يوسف ظهرت كلمات جديدة بخط مضيء باهت

- كشف الخطايا ليس خطيئة

تجمد بهاء في مكانه وهو يتمتم

- ده بيحصل... دلوقتي... قدّامنا.

العقيد أمسك بمسدسه لا إراديًا، لكن يوسف ظل جالسا، عيناه فارغتان من التعبير، وصوته خرج هامسا كأنه صدى من مكان بعيد

- لا تبحث عن الكاتب الاخير، لأن الحبر الذي كتب به القانون بدأ يجف

- يعني أيه يا يوسف بلاش الغاز

- نادر القاسمي اختفى خلاص

قالها ثم سكت وبدا على وجهه علامات غريبة

بهاء بصوت مرتجف

- سيادة العقيد... وشه بيتغير.

وبالفعل، كان ينعكس على وجه يوسف ظلال متحركة، كأنها حروف تتكون وتختفي بسرعة على جلده، تشكل كلمات غير مكتملة، لا يمكن قرأتها. ثم تتلاشى كالدخان. العقيد تراجع خطوة، صوته خرج مبحوحًا

- ايه اللي بيحصل ده؟



في تقرير العقيد الصباحي كتب

التاريخ :12 يناير

الواقعة :اثناء التحقيق في ملابسات الحادثة السادسة في سلسلة اختفاء الكتاب

الملاحظات :ظهور بصمات ضوئية على جدران غرفة التحقيق أثناء استجواب يوسف زهران. الكلمات الظاهرة تطابقت مع نصوص المفقودين. نفس المنطق والأسلوب الفلسفي

يوسف في حالة غيبوبة، نقل تحت الملاحظة الطبية،

لكنني أشعر أن الحروف لم تعد داخل الأوراق فقط...

بل بدأت تتسرب إلى عقولنا.



الكبرياء

المكان فيلا نادر القاسمي الإسكندرية

التاريخ :11 يناير

كان **نادر القاسمي** يكتب كما يتكلم الملوك. كل كتاب يصدره كان أشبه بمرسوم فكري يحدد للناس كيف يفهمون العالم. بدأ ناقدا هادئا،

كتب في الفلسفة والوعي والجمال، وصار اسمه يذكر في المحافل الكبرى، تقتبس كلماته، وتدرس مؤلفاته في الجامعات. لكن كل نجاح كان يرفع رأسه درجة جديدة نحو العزلة. صار يعتقد حقيقة أن الكلمة تنبع من ذاته التي لا تخطئ. ثم جعل من نفسه نبيا ينشر الحقيقة التي اعتنقها. في إحدى محاضراته قال بثقة مطلقة

- الكاتب الحقيقي لا يصف العالم... بل يخلقه.

ولم يلاحظ الهمس في القاعة. بل أضاف بابتسامةٍ واثقة

- ومن يخلق الكلمة يحق له أن يخلد ذكره بها.

منذ تلك اللحظة بدأ انحداره البطيء، لكنه لم يكن يرى إلا صعودًا.

صار يكتب نصوصا أقرب إلى المزامير، يوقعها بعبارة ثابتة

- قال نادر القاسمي.

وكأنما يكتب وحيا.

كان يجلس في مكتبه شبه المظلم، إلا من مصباح واحد يتدلى فوق طاولة خشبية قديمة، تتوسطها آلة كاتبة مغطاة بطبقة رقيقة من الغبار، كأن الزمن توقف عندها منذ قرن. جلس أمامها، وجهه حاد كالنصل، عيناه تلمعان ببرود فيه تحد لا يشبه الخوف. كان هو الكاتب الوحيد من بينهم الذي كتب ضد فكرة الوعي الأعلى علنًا، وسخر من العهد في مقالاته قائلاً

- **من يخاف القلم يعبده، ومن يعبده يموت صامتًا.**

كان يراجع مخطوطه الأضخم

- **منتهى الوعي الإنساني**

فتح دفتره، وبدأ يكتب بخط ثابت غاضب

- الوعي مش كيان. الكلمة ملك الكاتب.

العهد خرافة اتقالت عشان الناس تفضل تخاف من نفسها.

توقف لحظة، شعر أن الهواء حوله صار أثقل.
المصباح تمايل ببطء، والآلة الكاتبة أصدرت طقطقةً خفيفةً وحدها. ضحك ساخرًا وقال بصوت مرتفع متحد

- إيه هيبدأ العرض دلوقتي؟ يلا... ورني قوتك**!**

انطفأ الضوء دفعة واحدة ثم ما لبست أن أضاءت بالتدريج، بالتزامن مع صوت الآلة الكاتبة الذي كان يعلو وكأن هناك من يكتب عليها، وحين التفت لها كانت قد انتهت من كتابة القانون السابع

- من ظن في نفسه الكمال، فما أكتمل فيه إلا النقصان

ارتج المكان، الأوراق تطايرت كأسراب طيور بيضاء، سقط القلم من يده، عندما رأى انعكاسه في المرآة.
كان جسده بدأ يتناقص، يتلاشى ببطء غريب، كأن الضوء نفسه يمحوه سطرا بعد سطر. آخر ما نطق به، كان همسا خافتا

- أنا الحقيقة، أنا من يصنع الكلمات، أنا ...

ثم اختفى.



كنتُ أراقبه حين بدأ يصيغ الحروف باسمه، يظن أنه يملك وحيه الشخصي يملى له من داخله. الكبرياء يا نادر ليس في الزهو، بل في أن تنسى أنك ككاتب قناة لنشر المعنى. لنقل المعرفة. حين اعتقد أنه تجاوز العهد، كان العهد قد تجاوزه.

حاولت أن أُريه أن الخلق لا يتم بوعي ناقص، لكنه قال

- أنا الوعي الانساني الكامل.

فابتسمت، لأن الكامل لا يقول عن نفسه ذلك أبدا.

الكبرياء لا يعاقب، إنه يسقط بثقله الخاص.

لذلك تركته أمام مرآته، حتى رأى نفسه يتناقص، يتلاشى في انعكاسه. فقط محوت صوته، محوت كلماته وكأنه لم يكن.

لم أقتله، لكن جعلته يرى حقيقة القانون السابع

- من ظن في نفسه الكمال، فما أكتمل فيه إلا النقصان



في الصباح، دخل مساعده إلى المكتب، فوجد الأوراق مبعثرة على الأرض، لكنها جميعا كانت بيضاء، إلا الصفحة الأخيرة التي كتبت بخط غريب مائل **منتهى الوعي الإنساني**

على الجدار المقابل للمرآة، كانت بقعةُ ضوءٍ تتحرك كأنها تتنفس،وفي داخلها ظل وجه يتبدد ببطء حتى اختفى.

ومنذ ذلك اليوم، لم ير نادر القاسمي مجددا، لكن صوته ظل يسمع في التسجيلات القديمة، يقول بهدوء يشبه الاعتراف الأخير

- الخلود ليس أن تكتب، بل أن تموت ولا تنسى



اكتمال الدائرة

المكان فيلا نادر القاسمي الإسكندرية

التاريخ :12 يناير صباحا

كانت فيلا **نادر القاسمي** على أطراف المدينة، مغلقة بإحكامٍ من الداخل، لا آثار اقتحام، ولا بصمات غريبة. لكن كل مرايا المنزل مغطاة بالقماش الأسود. وقف **العقيد حاتم عوني** في البهو، يمسح المكان بعينيه الخبيرتين، ثم قال بصوت خافت

- ده ماكانش بيخاف من السرقة...ده كان بيخاف يشوف نفسه

في منتصف البهو، مكتب ضخم تعلوه أوراق بيضاء مرتبة بعناية، وفي أعلاها صفحة واحدة مكتوب عليها بخطٍّ أنيقٍ كبير:

من ظن في نفسه الكمال، فما أكتمل فيه إلا النقصان

النقيب بهاء **التقط الورقة وقال:**

- نفس النغمة يا سيدي، كأنها قانون.

أومأ العقيد برأسه ثم التفت نحو **الدكتور فؤاد الجبالي،** الذي بدا أكثر هدوء مما ينبغي. منذ الحادث السابق تغير في

فؤاد شيء لا يمكن تحديده، كان صوته أبطأ، ونظراته عميقة إلى درجة مربكة. قال له العقيد حاتم

- تحليل سريع يا دكتور .

- الكبرياء المعرفي... حالة متقدمة من متلازمة السيطرة الإدراكية. الكاتب هنا لم يعد يرى نفسه جزءًا من الوعي، بل مركزه.



- الملاحظات الختامية للعقيد

التاريخ :**14 يناير**

الواقعة :**اختفاء الكاتب نادر القاسمي – الحادثة السابعة.**

الجملة الأخيرة التي كتبت في مكان الحادث بطريقة غير معروفة

من ظن في نفسه الكمال، فما أكتمل فيه إلا النقصان

الملاحظات، يوسف زهران أصبح محور الاشتباه الرئيسي، لكنه يرفض الكلام ويكتب على الجدران داخل محبسه رموزا لغوية متداخلة.

كتب العقيد في نهاية التقرير بخط شخصي مرتجف

كل الأدلة تؤكد أني لست أحقق في سلسلة جرائم، بل في نص لم يكتمل بعد، نص يعرف أننا نقرأه.



تحقيق العهد والكاتب

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل في **مكتب التحريات الخاص**. المكان خالٍ إلا من **العقيد حاتم عوني**، يجلس أمام مكتبه المكدّس بالملفات. على الجدار المقابل سبع صورٍ لسبعة كتاب، تحت كل منها كلمة وجملة قصيرة

الجشع. الكسل. الشهوة. الغضب. الشره. الحسد. الكبرياء.

أطفأ العقيد المصباح، وأشعل سيجارته الأخيرة.

فتح الملف السابع وبدأ يكتب بخط متعب على الصفحة الأولى، التقرير النهائي في سلسلة اختفاء الكتاب.

بعد سبع وقائع متتابعة، ثبت أن النمط واحد، والنتيجة واحدة.

لا أثر مادي، لا جريمة واضحة، فقط كلماتٌ تكتب وحدها، كأنها توقع اختفاء آخر. توقف عن الكتابة لحظة، ثم أضاف بخطٍ شخصي:

يبقى السؤال الوحيد من كان يكتب القانون؟



اللقاء الأخير

في الصباح، دخل النقيب **بهاء** المكتب بخطوات متوترة.

- سيادة العقيد، يوسف زهران فاق... وبيسأل عنك.

صمت العقيد طويلا، قام بوضع فنجان القهوة أمامه بعد أخذ أخر رشفة منه، ونهض متثاقلا. متجها إلى غرفة التحقيق. حين دخل الغرفة، وجد يوسف جالسا في الزاوية، وأمامه مفكرة مفتوحة على صفحة بيضاء، أمر بإخلاء الغرفة من الجميع وقف أمامه مباشرة. وبنبرة يعلوها الغضب.

- أنا لحد دلوقتي ساكت يا يوسف، بس بصمتك بتثبت إنك ورا كل ده... هبقى أول واحد يعتبرك متهم رسمي.

ابتسم يوسف بهدوءٍ وقال

- مفيش متهم يا حاتم،

- أنا تعبت من أسلوبك وكلامك بالألغاز، في سبعة اختفوا، ورجع منهم خمسة ومفيش حد منهم عاوز يتكلم ويقول ايه اللي حصل معاه، والبقيين الله أعلم هيرجعوا ولا لاء.

حاتم بنفاذ صبر

- أنا مش لاقي غيرك. أنت العامل المشرك بينهم، أنت اللي بدأت الحكاية من الأول

يوسف بصوتٍ هادئ

- وأنت؟ مش كنت معايا من البداية؟

- أنا المحقق، مش واحد منكم.

ابتسم يوسف، مد يده وأشار إلى المفكرة أمامه. كان هناك كلمات بخط مهزوز بتوقيع جابر الأسيوطي، قال يوسف بهدوء

- فاكر جابر يا سيادة العقيد؟

تغيرت ملامح حاتم من الغضب، إلى الصدمة، عندما تذكر قضية جابر الأسيوطي وكابوس البلو تاش تلك الإيام التي حمد الله أنها انتهت، جلس على الكرسي المواجه ليوسف ألتقط المفكرة، كان المكتوب.

- اكتملت دائرة العهد. أكتمل القانون.

أكمل يوسف حديثة

- أنت عارف مين من الحداشر كاتب ليه علاقة بجابر؟

- أيوه صح، رامي أنور القاضي، أنت بنفسك استبعدته من الــ...

- لآنه مكانش فريسة، رامي هو الصياد يا حاتم.

جابر كان بينفذ لحاتم أحكامه، مين يعرف ممكن يكون سيف كان معاهم، لكن الأكيد إن الموضوع كان بمعرفة رامي أنور

القى حاتم المفكرة واتسعت عيناه عن أخرها وبصوت يملؤه الغضب

- مستحيل ده راجل قانون ومستحيل يعمل حاجة تخالف مبادئة، وبعدين إيه اللي يخلي جابر موجود لحد دلوقتي؟
- رامي ما كانش بيخالف مبادئة، هو حط قوانين وجابر نفذ أحكمها بمنتهى العدل. وأستخدمنا إحنا كلنا، علشان يوصل صوت قانونه. وينفذ أحكامه في العلن

فاكر كلامه،

العدل فوق الجميع العدل هو الأساس، لو مش في المحكمة زي ما قال يبقى في مجال تاني.

وهو أختار الكتابة ساحة لتطبيق العدل.

أشار يوسف نحو المفكرة أمامه. كانت هناك كلمات تكتب وحدها، تجمد العقيد لحظات. مد يده للمفكرة رفعها أمام بصره وقرأ بصوت مرتجف

- كل من قرأ التحقيق صار جزءًا منه، وكل من كتب الحقيقة صار كاتبها الأخير.

رفع نظره نحو يوسف فوجده يبتسم بهدوءٍ غريب.

- إيه اللي بيحصل هنا يا يوسف؟!

- دلوقتي أنا فهمت، التحقيق مكانش المقصود منه البحث عن مجرم لأن مفيش جريمة، كان بيستخدمنا علشان يظهر، علشان تبان أفعاله أكتر، علشان الناس تعرف إنه موجود.

بدأت الإضاءة في الغرفة تضعف ببطء. الأوراق على المكتب تتحرك كأنها تتنفّس. الملفات تُفتح وحدها، وصور الكتاب السبعة تضيء بوميض أزرق. العقيد يتراجع خطوة إلى الخلف، لكن صوته يخرج مبحوحاً

- مش ممكن... اللي بيحصل ده ضد العقل ضد المنطق

- كل كتاب خد جزائة بحسب خطيئته، ومحدش منهم إتظلم كل واحد كسر قانون، نفذ الحكم بنفسه

أمسك العقيد رأسه، كأن الكلمات تتردّد داخله بصوتٍ آخر، صوتٍ ليس صوته. على الحائط خلفه ظهرت جملةٌ جديدة، كأنها تنقش من نور خافت

- **من وعي أكثر حكمة تبدأ الكلمة من جديد**

ومن تحتها كان التوقيع **سيف جابر**.

التفت نحو يوسف... لكن الكرسي كان خاليًا. على الطاولة، كانت المفكرة ما تزال تُكتب وحدها، صفحةً جديدة، تتكوّن فيها الكلمات ببطءٍ

- لم يختفِ يوسف زهران، بل عاد إلى بيته،

لم يكن يوسف يوما ضلعاً في القضية، أو محور اتهام

رفع العقيد رأسه نحو الجدار،

فرأى صور الكتاب السبعة تختفي واحدة تلو الأخرى، حتى لم يبق إلا مساحة فارغة تنتظر الصورة الثامنة. انطفأت الأنوار تمامًا. وفي العتمة، كان الصوت الأخير يقول، بصوت لا يعرف إن كان من الداخل أم من الخارج

- **كل كاتب يكسر قانون العهد... ينتظره قانون.**

سيف جابر



الختام

ماذا لو كان للكلمة وعي يكتب من خلالنا؟

وماذا لو كان الحبر، منذ البداية، مجرّد وعيٍ يبحث عن يدٍ صادقة؟ في عالم تتقاطع فيه الكتابة مع الوجود،

كانت سلسلة الاختفاءاتِ الغامضة لعدد من الكتاب

كل قانون جديد يكتب، يمحو اسماً من الوجود،

ويترك خلفه سؤالاً أكبر من اللغة نفسها، هل نكتب لأننا نملك الفكرة، أم لأن الفكرة هي التي اختارتنا لنكتبها؟

تشتعل حرب خفية بين الحبر والضمير،

بين الإلهام والخطيئة، بين من يخاف الكلمة ومن يحررها.

ريبليس منت ليست رواية عن الكتابة،

بل عن الإنسان حين يدرك أن أعظم ما يمكن أن يفعله بالكلمة ليس أن يقدسها... بل أن يصدقها. وفي الصفحة الأخيرة،

حين يصمت الحبر، تقول الكلمة أخيرًا

انتهى عهد الوعي ... وبدأ وعي الإنسان

